

جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة القادسية / كلية الآداب

قسم اللغة العربية

المراة في شعر أبي ذؤيب الهذلي

بحث تقدم به الطالبان : مهند مهدي جاسم

علي فخري منديل

وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس

لللغة العربية وآدابها

بأشراف أ.م.د. حسين عبيد الشمري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقُلْنَا رَبِّي زَنْدِي
عَلَمًا.

صدق الله العظيم

سورة طه : الآية ١١٤

الإِهْدَاءُ

الى من حملتني وهذا على

وهي ...

الى من أسيّر على الأرض ببركة

دعائهما ...

أمي .

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر الجزيل والثناء الجميل وعرفاناً لمن كان لهم
الفضل في أخراج هذا البحث بهذه الصورة فأني أتوجه
بالشكر أولاً لله سبحانه وتعالى الذي لولا توفيقه لما خرج هذا
البحث بهذه الصورة .

الشكر لله لأنه يسر لي هذا العمل واتوجه ايضاً بالشكر الى
الأستاذ المساعد (حسين عبيد شراد الشمري) .

وأتقدم بالشكر الجزيل لكل من قدم لي العون والمساعدة من
خلال توفير كتب او إسداء نصيحة طيبة او بالدعاء لي .

المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
٩ - ١	تمهيد
١٥ - ١٠ ١٢ - ١١ ٢٤ - ١٣	المبحث الأول : المرأة في الأغراض الشعرية. أولاً: المرأة في مجتمع هذيل . ثانياً: الأغراض الشعرية في المرأة .
٤٢ - ٢٦ ٣١ - ٢٧ ٣٤ - ٣٢ ٤٢ - ٣٥	المبحث الثاني : الحبيبة الرمز والأسطورة. أولاً : الحبيبة . ثانياً : رمز الجمال الانثوي . ثالثاً : الأسطورة .
٦٨ - ٤٣ ٤٦ - ٤٤ ٦٨ - ٤٧	المبحث الثالث : البناء الفني في شعر أبي ذؤيب الهذلي أولاً: البنية الفنية للقصيدة الهذلية بنية لوحات الافتتاح . ثانياً : الدراسة الفنية البناء الداخلي والأسلوب
٦٧	الخاتمة
٦٨	فهرس المصادر والمراجع

<<المقدمة>>

((بسم الله الرحمن الرحيم))

الحمد لله المنزل الكتاب المعجز على افصح الناطقين والصلة والسلام على من
بلغ رسالات الله تعالى سيد الأنبياء والمرسلين وعلى الله وسلم تسلیماً كثيراً

وبعد :

اقدم هذا البحث في مادة الادب العربي القديم الموسوم (المرأة في شعر أبي ذؤيب
الهذلي) وقد قسمت الموضوع الى مقدمة ، وتمهيد ، وثلاث مباحث

فأما التمهيد تطرقت بالحديث عن نسبه واخباره وحياته ودوره في القتال واسلامه
واهم علاقاته مع النساء اللواتي عرفهن .

أما المبحث الأول : فتناولت فيه المرأة في الأغراض الشعرية متطرقاً إلى المرأة
في مجتمع هذيل وكيف يتناولها أبو ذؤيب الهذلي ف الغزل ، والوصف .

أما المبحث الثاني : فأطلقت عليه الحبية الرمز والاسطورة . فتطرقت إلى
رمزية الحبية عند الهذليين وما ترمز اليه من اساطير تحكم بالطبيعة التي كانوا
يعيشون فيها .

أما المبحث الثالث : فكان عن البناء الفني في شعر أبي ذؤيب الهذلي . وقد تناولت
البناء الفني للوحات الافتتاح ، والبناء الداخلي ، والأسلوب ، والمقدمات الغزلية
منها لوحة الظعن ، لوحة المرأة العاذلة ، لوحة الشكوى والحكمة .

ثم الخاتمة وأهم نتائج البحث التي اوجزت فيها ما توصلت إليه من هذا الجهد
المتواضع ثم ثبت بأهم المراجع والمصادر التي رجعت إليها خلال البحث ، ومن
الله التوفيق .

تمهید

(حیاته و شعره)

اولاً نسبه :

اشار المؤرخون ان اسمه هو :

((هو خويلد بن خالد بن محرث بن زيد بن محرزوم بن صالحه بن كاهل بن الحارت بن تميم بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضرف بن نزار))^(١)

وجاء نسب الشاعر في خزانة الادب عبد القادر البغدادي ، مطابقاً لما ذكرنا مع اختلاف في الجد الخامس ففيما ورد في الأغاني أبو الفرج الأصفهاني، ان كاهلاً بن الحارت ، وورد في الخزانة ان كاهلاً بن معاوية^(٢).

اما بن قتيبة فيكتفي من نسب الشاعر بأسم ابيه فيقول :

(هو خويلد بن خالد جاهلي اسلامي)^(٣).

ثانياً حياته :

ذكر المؤرخون^(٤) الى ان ابا ذؤيب كان راوية ساعدة بن جويبة ولا نعلم مدى القرابة بين الاثنين ، كذلك كان له ابن عم يدعى بدر بن عويم وكان يشق به ويرسله الى حبيبته ام عمرو ناقلاً ناقلاً رسائله الشفوية اليها محدداً موعد اللقاء بينهما ، اما طفولته وحياته الاسرية فأننا نجهلها جهلاً تماماً لان الشاعر لا يشير الى شيء منها ، كما ان المؤرخين لا يذكرون شيئاً ، لذا فنحن مضطرون ان نبدأ جولتنا مع ابي ذؤيب الهزلي منذ ان اصبح شاباً يمارس ما يمارسه غيره من ابناء القبيلة من اعمال عابثة حيناً وجادة في حيناً اخر .

(١) الأغاني أبو الفرج الأصفهاني ، أبو فرج الأصفهاني ، ٦ : ٢٣٤٤ ، اسد الغابة ، ٢ : ١٥٠ ، طبقات فحول الشعراء ابن سالم الجمحى . ١٦ ، المؤتلف والمختلف ، الامدي . ص ١٢٧

(٢) خزانة الادب عبد القادر البغدادي ، عبد القادر البغدادي ، ٣ : ٢٠٣

(٣) ، الشعر و الشعراء ، ابن قتيبة ، ٦٥٣

(٤) نفسه ، ٢ : ٦٥٣

ولا تخلو ايام شبابه من مغامراته مع النساء فهو يتعقب النساء حيناً ويدعى مطاردتهن له احياناً وانشغاله هو عنهن .

ويمكن ان نذكر الاسماء التي وردت في شعره لتعرف على الرابطة التي تربط اصحابها مع ابى ذؤيب .

ولابد ان نبدأ بام عمرو التي ردد شاعرنا ذكرها في تسع قصائد من شعره وكان يكتبها احياناً بأم عمرو واحياناً بأسماء اخرى مثل ابنة السهمي ، ام الحويرث ، ام سفيان ، وقطيمة وام الرهين .

وقد اهتم النقاد بهذه العلاقة التي جمعت بين شاعرنا وبين هذه المرأة التي كانت خليلة لابن عمه بدر بن عويم ، ولم يلبث ابا ذؤيب حتى اطفاها لنفسه وعاش معها فترة من الزمان كانت بدايتها السعادة ونهايتها الشقاء .

ولا تتبعنا علاقته بها منذ البداية لوجدنا انه كان محباً لتلك المرأة يقسّك ان معين حبه لها ان ينضب فهو يذكر جمالها الذي ملك عليها قلبها ، وينفي على الذين استنكروا حبه لها وجهلهم بجمالها وسحرها ثم يقسم على ان ذلك الحب سيقى خالداً ويقول^(١) :

وَيَا شَبْنِي فِيهَا الدِّينَ يُؤْنِثَا
وَلَوْ عَلِمُوا لَمْ يأْشِبُونِي بِطَائِلٍ
مِّنْ الْخَمْرِ لَمْ ثُبَّلْ لَهَائِي بِنَاطِلٍ

ابو ذؤيب حاول ان يرسم لمحبوبته الصورة المثالية التي يعشقها العربي متجاهلاً ماضيها بل محاولاً ان يسدل على ذلك الماضي ستاراً كثيفاً .

(١) شرح اشعار الهدللين ، ابى سعيد السكري ، ابى سعيد السكري ، حققه عبد السنوار احمد فراج ، ابى سعيد السكري ، حققه عبد السنوار احمد فراج ، ١ : ١٤ - ١٤٧ . يأشبني : يقذفوني ويخلطون علي الكذب ، يلونها : يلون امرها ، ابن بجرة خمار كان بالطائف ، الناظل : مكيل صغير .

ويمضي شاعرنا في حبه وقلقه للنهاية المفزعـة التي اقـضـت مـظـجـعـه ، ويـكـثـرـ من تـنـاـولـهـماـ وـتـرـدـيدـ قـصـةـ حـبـهـ لـهـ فـيـهـ رـهـاـ عـلـىـ مـضـضـ وـيـعـانـيـ منـ ذـلـكـ الـهـرـ الـامـرـيـنـ وـيـعـلنـ ثـورـتـهـ وـسـخـطـهـ عـلـىـ مـنـ كـانـ سـبـبـاـ عـلـىـ بـتـرـ اوـاصـرـ تـلـكـ الـعـلـاقـةـ ، بلـ يـعـلـنـهاـ صـرـيـحةـ مـدوـيـةـ انـ ذـلـكـ الـهـرـانـ كـانـ مـؤـقـتاـ وـانـ كـلـ مـنـهـمـاـ باـقـيـ عـلـىـ الـعـهـدـ وـيـقـولـ^(١)

أَبِي الْقَلْبِ إِلَّا أُمْ عَمْرُو وَأَصْبَحْتَ
ثُرْقُ نَارِي بِالشَّكَاةِ وَنَارُهَا
وَتِلْكَ شَكَاةَ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا
وَعَيْرُهَا الْوَاسْعُونَ أَنَّى أَحِبُّهَا

إلى هنا بقي شاعرنا يتآلم ويشتكـيـ تـدـخـلـ الـوـشـأـ وـاـخـلـالـهـمـ تـلـكـ الـعـلـاقـةـ بالـرـغـمـ انـ ذـلـكـ الـهـرـانـ كـانـ يـكـلـفـ الـكـثـيرـ ، يـمـضـيـ فـيـ وـصـفـ مـحـاـسـنـهـ ثـمـ يـحـذـرـهـاـ بـمـقـابـلـتـهـاـ بـالـمـثـلـ انـ كـانـتـ تـنـوـيـ هـرـانـهـ هـرـانـاـ حـقـيقـيـاـ ، فـهـوـ رـغـمـ حـبـهـ لـهـاـ قـادـرـ عـلـىـ تـلـكـ الـعـلـاقـةـ وـتـبـيـانـ مـنـ يـنـسـاهـ ، وـيـقـولـ^(٢).

فَأَنْ تَصْرُمِي حَبْلِي وَإِنْ تَبَدَّلِي
خَلِيلًا وَاحِدًا أَكُنْ سُوءَ قَصَارِهَا
وَجَدْتَ يَصْرُمُ وَشَمَرٌ عَنْ عَذَارِهَا
فَأَنَّى إِذَا مَا خَلَةَ رِثْ وَصَلَّهَا

(١) شـرـحـ اـشـعـارـ الـهـذـلـيـنـ ، أـبـيـ سـعـيدـ السـكـريـ ، حـقـقـهـ عـبـدـ السـتـارـ اـحـمـدـ فـرـاجـ ، ٧٠ - ٧١ :

(٢) شـرـحـ اـشـعـارـ الـهـذـلـيـنـ ، أـبـيـ سـعـيدـ السـكـريـ ، حـقـقـهـ عـبـدـ السـتـارـ اـحـمـدـ فـرـاجـ ، ٨٠ - ٨٢ :

وقد انتهت علاقته مع ام عمرو نهاية شاذة كبدايتها ، وهكذا يودع شاعرنا اياماً حلوة قضاها مع محبوبته وهو يتأنج سعادة بقربها والخوف من فقدانه ، وغير معروف كم من الوقت مضى قبل ان يلتقي بأسماء التي ورد ذكرها في قصيدين من شعره .

على ذلك النحو نرى ان علاقة ابي ذؤيب بأسماء لم تكن طبيعية انما نشأت في احضان الخوف والخجل ، فهو يخجل من زوجها ويخرج من مصارحتها لانه بينه وبين نفسه بفساد تلك العلاقة التي تربط بين امرأة متزوجة وشاب طائش ، ولعله استطاع ان يتغلب على خجله بالغرام ، واستغل غياب زوجها لينال ما يريد ، فهو يذكر الخمرة الممزوجة بالعسل ، ويؤكد انها ليس الا من ثغر اسماء حين تسلل إليها كاللص ليلاً يقول^(١) :

جَدِيرُ حَدِيثٍ نَحْثُرَا وَاغْتَضَابَهَا مِنْ اللَّيْلِ وَالْتَّفْتُ عَلَى شِيَابِهَا	فَمَا أَنَّ هُمَا فِي صَفْحَةٍ بَارِقِيَّةٍ بِأَطَيَّبَ مِنْ فِيهَا إِذَا جِئْتُ طَارِقًا
---	--

ويبدو ان اسماء تمادت في علاقتها وانساقت وراء عواطفها في علاقتها بأبي ذؤيب حتى سئم تلك العلاقة ، واخذ ينهرب منها بمشاغله الكثيرة يقول^(٢)

فَقُلْتُ بَلَى لَوْلَا يُنَازِعِنِي شُغْلِي وَمَا إِنْ جَرَاكَ الضُّعْفَ مَأْخُذٌ قَبْلَنِ	أَلَا زَعَمْتُ أَسْمَاءً أَنَّى لِأَحِبَّهَا جَرِيَّتِكِ ضُعْفَ الْوَدِ لَمَّا اشْتَكَيْتَهُ
---	---

(١) شرح اشعار المهلبيين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، ١ : ٥٤ . : يعني الخمر والعسل ، بار في اناة منسوب الى بارق ، اقتضابها : اخذها من شجرة حديثة .

(٢) نفسه ، ١ : ٨٨

كانت اسماء هي التي تجري خلف الشاعر وتطالبه ببذل الحب وتعتب عليه قلة الوصل فيعتذر عن ذلك بكثرة مشاغله التي حرمته عن حبها ، ومما لا شك فيه ان المحب الحقيقي لا

يُخاطب محبوبته بذلك الاسلوب ، ويمن عليها بما يبذله من اجلها ، بل انه لا يتركها تشكو قلة الزيارة ولا يتعلل بكثره المشاغل لان حبيبته معه ليلاً ونهاراً فصورتها لا تبارح خياله .

يبدو ان ابا ذؤيب لم يحب اسماء حباً حقيقياً ، وربما قد عرفها بعد حبه لام عمرو التي خانته ، وربما دفعته رغبته في الانتقام الى التصدي لاسماء ليخدع زوجها كما خدعا خالد ، فلما نال ما اراده في تلك المرأة وادار ضهره لتلك العلاقة التي كانت وسيلة لا غاية .

ومع ام عمرو واسماء تردد اسماء اخرى في شعر ابي ذؤيب مثل امية التي ذكرها في عينيه يقول^(١) :

مُنْذِ ابْتَدَأْتُ وَمِثْلَ مَالِكَ يَنْفَعُ

قَالَتْ أُمَيَّةَ مَا لِجِسْمِكَ شَاحِبًا

فالحديث هنا عن امية ليس غزلاً انما مقدمة للرثاء . كذلك ذكر ليلى بقوله^(٢)

نَعْفُ الْكَوَى أَوْ بِالضَّيْعَةِ

أَمِنَ آن لَيْلَى بِالضَّجَوْعِ وَأَهَلَنَا

ونذكر لنا هو ايضا مقدمة القصيدة طويلة في الرثاء الامر الذي يدل على انها لا تمثل اشياء من حياة ذؤيب الهذلي الوجданية .

(١) شرح اشعار الهذليين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، ، ١ : ٥

(٢) نفسه ، ، ١ : ٦٥

دوره في القتال .

اما دوره في القتال لم يكن أبو ذؤيب يشارك في احداث قبياته بمسانده فحسب وانما كان يستخدم سيفه احياناً فينزل الى ساحة القتال فيصول ويقول ، من ذلك اشتراكه في يوم البواء وهو اليوم الذي اغار فيه مالك بن عوف النصري على معاوية بن هذيل وكان أبو ذؤيب يرثز الجيش قائلاً^(١) :

أَدْرَكَ أَرْبَابُ النِّعَمِ
بِكُلِّ مَحْلُوبِ أَشْمُ
مُذْنَقٌ مِثْلُ الزَّلْمِ

اما اسلامه : حين اشرقت الاسلام اعتنقه أبي ذؤيب واحب الرسول (ص) واخلس ، وذهب الى المدينة حيث علم ان الرسول (ص) قد مرض ، وحاول جاهداً ان يراه قبل وفاته لكنه لم يستطع وقد اتى الرسول (ص) في ابيات من الشعر يقول^(٢) :

لَمَا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي عَسْلَانِهِمْ
مِنْ بَيْنِ مَلْحُودَةِ اللَّهِ وَمَضْرِعِ
الرِّقَابِ لِفَقْدِ أَبْيَضَ أَرْوَحَ
مُتَبَارِينَ لِشَرْجَعِ بِاَكْفَهُمْ نَصَّ

(١) شرح اشعار الهدليين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، ٢٢١ - ٢٢٣

(٢) الروض الانف ، شرح ابو القاسم السويفي ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل : ٤٦ - ٢٧٥

أما وفاته :

تشير المصادر ان أبو ذؤيب قد توفي وهو في طريق عودته من افريقيا ، وبعضهما يذكر انه مات في افريقيا .

فأبن الاثير يقول في حوادث سنة سته وعشرين ((وفيما مات أبو ذؤيب المهزلي بعصر مرف من افريقيا))^(١)

اما البلاذري فيذكر انه مات في افريقيا وقام بأمره عبد الله بن الزبير الذي واراه في لحده^(٢) . الاصفهاني في خبر الموت فيذكر انه مات في طريق العودة من افريقي و كان معه ابنه وابن أخي فأراد ان يختلف عليه جميعاً فأقترح صاحب الناقة عليهما ان يرتفعا فطارت القرعة لابن أخيه الذي بقى معه ويروي ابن أخيه ان أبو ذؤيب طلب منه ان يحفر قبراً وان مثل عليه التراب وان يتبع الركب ففعل ويروي انه قال وهو يجود في نفسه^(٣)

أَبَا عِبْدِ رُمْحَ الْكِتَابِ
وَاقْتَرَبَ الْمَوْعِدُ وَالْحِسَابُ
وَعِنْدَ رَمْلِيْ جَمِلٌ نَوْجَابٌ أَحْمَرٌ
فِي سَوْفَ أَرْكُهُ الصَّبَابِ

وهكذا ودع أبو ذؤيب الدنيا غريباً نائباً عن اهله ومواطنه قبيلته ، بعد حياة حافلة في شبابه وشبابه في جاهليته واسلامه . خلد معالمها في شعره ويشارك في احداثها . فكان شعره صورة لتلك الحياة ونبضاً لاحساسه ووثيقة خالدة لشغفه .

(١) الكامل في التاريخ ، ابن الاثير ٣ : ٩٤

(٢) فتوح البلدان ، احمد البلاذري ، ص ٢٢٦

(٣) حزانة الادب عبد القادر البغدادي ، عبد القادر البغدادي ، ص ٢٠٣

(٤) الأغاني أبو الفرج الأصفهاني ، أبو فرج الأصفهاني ، ٦ : ٢٣٥٩

المبحث الأول

**(المرأة في الأغراض
الشعرية)**

أولاً : المرأة في مجتمع هذيل

كان موقف الهذليين من المرأة كشريكة حياة وحبية يختلف من امرأة الى اخرى . فقد تسمى اعلاقة بالشاعر الى حد الامتناع عن مصارحة المحبوبة بما يكن لها من ود . فهو يحبها على بعد ، وحبه لها يجعله حريصاً على حياتها حتى من نفسه ، فيتظر اذا راها بعكس ما يبطن لها ، ويفعل ذلك حرصاً على كرامتها وخوفاً من ان يتناولها احد بالذم في مجتمع صغير تسود الوشاية ويتهاجا الناس فيه بالاعراض فأبوا ذؤيب الهذلي يقول :

مَالِيْ أَحِنْ إِذَا جَمَالُكِ قَرَبَ
وَأَصُدُّ عَنْكِ وَأَنْتَ مِنِّي أَقْرَبُ ^(١)

والبيت ليس بحاجة لشرح ، فشاعرنا شدي الشوق ، شديد الحب يخفق قلبه جزلاً اذا ابصر جمالها مقبلة ولكنه يتغافل ويتغافل عن هى وهي امانه شاحصة .

وليس موافق ابى ذؤيب من جميع محبوباته مماثلة ، فهو يقر بمحاجته احدهن له ، ويعذر بكثرة مشاغله عن مصارحتها الغرام وهي صورة معكوسة للمحبين اذ يقول :

أَلَا زَعَمْتُ أَسْمَاءً إِنْ لَا أُحِبُّهَا
فَقُلْتُ بَلَى لَوْلَا يُنَازِعِنِي شُغْلِي ^(٢)

وهو موقف معاير لموقف ابى عيال الهذلي من محبوبته فطيمة اذ يقول

بَخُلْتُ فَطِيمَةَ بِالَّذِي تُؤْلِنِي
أَلَا الْكَلَامُ وَقَلَمًا يَجْذِبِنِي ^(٣)

(١) شرح اشعار الهذليين ، ابى سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، ١ : ٢٠٥ ، هذا في شرح اشعار الهذليين ، ابى سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، نسبت القصيدة الى ابن ابى دباع اجناناً .

(٢) شرح اشعار الهذليين ، ابى سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، ١ : ٨٨

(٣) شرح اشعار الهذليين ، ابى سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، ١ : ٤٠٧

ولا نستطيع ان نغفل قصة ابي ذؤيب مع تلك المرأة التي كان رسوله لاجل عمه اليها وما لبث حتى اصطفاها لنفسه ، فأذاقه الكأس الذي قدمها لابن عمه مع رسول اليها .

هذه الحادثة وان كانت فردية فهي تعكس ما تكرر في القبيلة . ويبدو ان من الممكن الربط بين هذه الحادثة وبين سؤال هذيل للرسول (ص) في اباحة الزنى ، فالتحلل الاخلاقي فيها من شأن ذلك يمكن الربط بين المحادثتين ، وبين انتشار عادة الختان وعدتها مفخرة لما هي الشعار الهذلي خصمها بتركها اذ قال :

إِلَى مَعْشَرِ لَا يَخْتَنُونَ نِسَاءَهُمْ
وَأَكْلُ الْجَرَادَ فِيهِمْ عَيْرُ أَفَّدُ^(١)

كذلك اخذت هذيل كغيرها من القبائل بمجموعة من المعتقدات الخرافية ، وتلك عادة لا تقوم على اساس علمي ، وانما تخضع للمصادفة البحتة . مع ذلك كانت تغير حياتهم وتأثير فيها تأثيراً ليس بقليل .

(١) شرح اشعار الهذليين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، ١ : ٨٨

(المبحث الاول)

ثانياً : الاغراض الشعرية في المرأة .

اولاً - الرثاء - هو فن افي ذؤيب الذي استخرجه عن طريق قصيده التي رثا بها ابناءه ، عرف واهتم به النقاد ووضعوه في المكان اللائق بين شعراء عصره حيناً وبين شعراء الرثاء في كل العصور حيناً اخر . فقلما نج في من كتب عن ابي ذؤيب من يعلم اجراد ابيات من عينيته مؤكداً انها من اجمل ما قيل في الرثاء .

والقصيدة قالها في رثاء ابناءه الذين ماتوا في عام واحد بمصر بسبب الطاعون ويرد ذكر ام رأة في هذه القصيدة حيث تسأله اميمة عن حاله وشحوب جسمه .

والقصيدة تجمع بين الندب والعزاء فهو يندب ابناءه :

وَالَّذِهْرُ لَيْسَتْ بِمَعْتَبٍ مِّنْ يُجَزِّعُ^(١)
مُنْذُ ابْتَدَلَتْ وَمِثْلُ مَالِكٍ يُنَفَّعُ
أَلَا أَقْضِ عَلَيْكَ ذَاكَ الْمَضْجَعَ
أَوْدَى بِنِي مِنِ الْبِلَادِ وَوَدَعْتُهَا

أَمْنُ الْمَنْوَنَ وَرَيْبُهَا تَتَوَجَّعُ
قَالَتْ أَمِيْمَةٌ مَا لِجِسْمِكَ شَاحِبًا
أَمْ مَا لِجِنْبِكَ لَا يَلَانُهُمْ مَضْجَعًا
فَأَجَبَتْهَا إِنْ مَالِجِسْمِيْ أَنَّهُ

(١) - شرح اشعار المهنليين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد السنار احمد فراج ، ، ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، الديوان ص ١ ، ديوان العذليين ص ١ . المنو ن : المنيفة ، مصيبة : نا يأتي به من الفجائع والمصابات ، الدهر : الموت ، الشاحب : المتغير المعزول ، لا يلائم لا يوافق ، منذ ابتدلت : منذ توليت ا لعمل ، الابداء : الهلاك ، اقضى عليك : صار تحت جنبك مثل اقضى الحجارة وهي تراب وحجارة حفار ، ودعوا : ذهبوا وماتوا

أ - الغزل

قصائد الغزل عند ابي ذؤيب ترتبط غالباً بالوصف والرثاء ، فهي ليست متعادلة الاجزاء ، فبينما يبرز في بعضها الوصف وفي بعضها الآخر الرثاء ، يتضائل حديث الحب تضائلاً شديداً وابو ذؤيب لا يجيد الحديث عن مشاعر المرأة ولا يحسن ترجمة احساسها ، واذا اراد ان يفعل ذلك لجئ الى الحيوان واصفاً اياه وصفاً دقيقاً يشبهه بما هو بصدده ومن نماذج ذلك يقول :

يَعْنِ لَهَا بِالْعَجْزِ مِنْ نَحْبِ النَّجْلِ^(١)

وَيُشَرِّقُ بَيْنَ الْلَّيْتِ مِنْهَا إِلَى الصَّفْلِ

وَثَرَمَقُ أَحْيَانًا مُخْتَالَةً الْحَبْلِ

لِعُمْرِكَ مَا عِيسَاءَ تَنْسَأَا شَادِنَا

إِذَا هِيَ قَامَتْ تَقْشِعُرُ مَا أُتِهَا

وَمَا أَمْ خَشَفَ بِالْعُلَيَّةِ تَرْتَعِي

وقال ابو ذؤيب ابناً :

جَرْئٌ بَيْنَنَا يَوْمٌ إِسْتَقَلَتْ رُكَابُهَا^(٢)

هُوَكَ الَّذِي تَهَوَّى يَصْبُكُ اجْتِنَابُهَا

سِنَنٌ فَأَخْشَى بَعْلَهَا وَاهَابُهَا

عَلَيْنَا بُعُونٌ وَاسْتَهَارٌ ثَبَابُهَا

سَمِيعٌ فَمَا أَدْرَى أَرْشَدَ طَلَابُهَا

يُدْلِيكَ لِلْمَوْتِ الْجَدِيدِ حَبَابُهَا

أَبَا الْصَّرْمِ مِنْ أَسْمَاءَ حَدَّثَنِي الَّذِي

رَجَرَتْ لَهَا طَيْرُ الشَّمَالِ فَأَنْ تَكُنْ

وَقَدْ طَغَتْ مِنْ أَحْوَالِهَا وَأَرَدْتُهَا

ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ فِلْمَا تَجَرَّمَتْ

عَصَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ أَنَّى لِأَمْرَهُ

فَقُلْتُ لِقَلْبِي يَأْلُكُ الْخَيْرُ إِنَّمَا

(1) شرح اشعار الهذللين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد السنوار احمد فراج ، ، ، ٩٠ / ٨٩ - ٩٠ . تنسأ : تسوق ، عيساء : نوبة بيضاء ، نخب : واد بأرض هذيل ، شوانتها : جلدة رأسها ، يشرق : يضي ، الليث : متذبذب القرط من الانسان وهو الظبية في ذلك الموضع وهو صفة العنق ، الصفل : التجارة ، العبل : الظخم ، ولت : ادبرت .

(2) نفسه ، ٤٢ / ٤٤

و اذا اردنا ان نصف عناصر الغزل عن ابي ذؤيب المهذلي وجذبها كالتالي :

١ – الوقوف على اطلال .

لقد وقف ابو ذؤيب على اطلال صاحبته في قصائد عدد منها ما قال :

بِعُنْفِ اللَّوْيِ أَوْ بِالصَّفِيَّةِ عَيْرٌ^(١)
رَجَالٌ وَخَيْلٌ وَمَا تَرَانِ ثُغَيْرُ
نَظَرَتِ وَقْدُسٍ دُونَهَا وَوَقِيرٌ
حَبُوْثٌ أَبَا ذِئْبٍ وَأَنْتَ كَبِيرٌ
مِنْ الدَّهْرِ أَمْ مَرَّتْ عَلَيْكَ مُرُورٌ
حُرّي بِأَرْزَاءِ الْكَرَامِ جَدِيرٌ
آمَنَ آل لَيْلَى بِالضَّجَوْعِ وَأَهْلَنَا
رَفَعْتُ لَهَا طَرَفِي وَقَدْ حَالَ دُونَهَا
فَإِنَّكَ حَقًا أَنَّي نَظَرِي عَاشِقٌ
دِيَارُ التِّي قَالَتْ غَدَةً لَقِيَتِهَا
تَغَيَّرَتْ بَعْدِي أُمْ أَصَابَكَ حَادِثٌ
فَقُلْتُ لَهَا فَقَدَ الْأَحِبَّةُ أَنَّي

(١) شرح اشعار المهلبيين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد السنوار احمد فراج ، ، ١ : ٦٥ - ٦٦ ، الديوان ص ٧ .

الضجوع : ضاف واللهوى والصنفية : مواضيع . عبر : ما ارتفع عن مسيل الوادي وانخفض عن الجبل ، رفعت : نظرت اليهار ، قدس ووغيره : جبلان ، مرور : حال بعد حال ، حري بأرزاء الكرام جدير : الارزاء الا بالكرام .

تلك الابيات تمهد لرثاء ووسيلة لغرض اخر التمسه الشاعر وتمهيداً لاجتذاب السامعين فهي ليست تعبيراً اصيلاً عن حياة ابي ذؤيب الوجданية وانما هي صناعة مقصودة لجئ اليها الشاعر ليوطن الغرض الاساسي .

وقد ذكر ابن قتيبة^(١) ان الشاعر الجاهلي عموماً كان يعم الى ذكر الديار لمستدعي اصفاء الاسماء .

وهذا التراب لابي ذؤيب تشبهه الابيات التي انت تاليه لهذا الغزل ، فشاعرنا يخلص منه ليذكر مصابه بشيء من التفصيل مما يثبت ان وقوفه على الاطلال كان عنده وسيلة لا غالية ، ووصف عند اطلاق محبوبته في قصيدة غزلية مطلعها :

عَرَفْتُ الدِّيَارَ لَامَ الرَّهِين	
	أَقَامَتْ بِهِ فَابْتَدَتْ خَيْمَةً
بَنْتُ الظِّبَاءُ فَوَادِي عَشْرَ	
	أَقَامَتْ بِهِ كَمْقَامَ الْحَنِيفِ
عَلَى قَصَبٍ وَفَرَاتُ الْهَرُ	
	شَهْرِيٌّ جَمَادِي وَشَهْرِيٌّ صَفَرَ

فالشاعر هنا يمر على تحديد الازمنة والاماكن تحديداً دقيقاً ، فهناك الظباء ووادي عشر وهناك الحجون والسرر ، وبعده الاماكن قضت المحبوبة فترة زمنية محددة هي شهرا جمادى وشهر اصفر .

(١) ينظر الشعر والسفر ، ابن قتيبة ، ٢٠

(٢) شرح اشعار الهمذيين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، ، ١ : ١١٢ . الضباء ووادي عشر : مواضع الفرات : الماء العذب ، شهر اصفر : المحرم و صفر .

٢ – وصف محسن المحبوبة .

لم يقف ابو ذؤيب طويلاً عند محبوبته ولم ينح لـنا تمثلاً . للجمال كما فعل عمرو بن كلثوم والاعشى ، لكن ديوانه لا يخلو من وقفات سريعة عند محسن المرأة الجسدية ، ويبدو ان ابو ذؤيب كان يعشق في المرأة جيدها ونظرتها ورائحتها المميزة وطعم مقبلها الذي يقرنه بملامسة العسل و الخمرة المعتقة اذ يقول :

سَلَافَةُ رَاحٍ عَشِيقُهَا تُجَارُهَا ^(١)

كَانْ عَلَى فِيهَا عَقَارًا مَدَامَة

وفي قصيدة اخرى في الغزل وصف ابو ذؤيب العسل و اختياره الخمرة المعتقة . ثم قال :

جَدِيدٌ حَدِيثٌ تَحْتَهَا وَاقْتَصَابُهَا ^(٢)

مِنْ اللَّيْلِ وَالْتَّفِتُ عَلَى ثِيَابِهَا

فَمَا أَنَّ هُمَا فِي صَفْحَةٍ بَارِقِيَّةٍ

بِأَطَيْبَ مِنْ فِيهَا إِذَا جِئْتُ طَارِقًا

ووصف العسل الممزوج بالماء وشبه طعمه بطعم ثغر المحبوبة اذ قال :

إِلَى طَنْفٍ إِعْيَاءً بَرَاقٌ وَنَازِلٌ ^(٣)

وَأَتَعْسُ آذَانًا مِنْ كِلَابٍ الْأَسَافِلِ

الْمَسْكُ فَتَفُوحٌ مِنْ جَنْبِهَا

مِنْ خَلَلِ الدَّايَتِينِ أَرْجَحُ

وَمَا ضَرَبَ بَيْضَاءَ يَأْوِي مَلِيكَهَا

بِأَطَيْبَ مِنْ فِيهَا إِذَا جِئْتُ طَارِقًا

إِمَّا رَأَيْتُهَا فَكَانَهَا قَدْ صَبَ عَلَيْهَا

كَانْ عَلَيْهَا بَالَّةً لَطِيمَةً لَهَا

(١) شرح اشعار الهدلبيين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد السنوار احمد فراج ، ، ٧٣ ، الديوان ، ص ٨

(٢) نفسه ، ١ : ٩٧ ، الديوتن ، ص ١٩

(٣) نفسه ، ١ : ١٤٥ ، الديوان ص ١٩

(٤) نفسه ، ١ : ١٣٦ ، الديوان ص ١٨

ان الدلال والجمال صفة مشتركة عند شعراء العصر الجاهلي . وابو ذؤيب لا يشذ عن ذلك حيث يقول :

تَمْلِقُهُ مِنْهَا دَلَانٌ وَمُقْلَةٌ تَظَلُّ لِأَصْحَابِ الشَّقَاءِ ثَدِيرًا

والجديد مع المقاتلين يصر عان لب ابى ذؤيب ويشعلان اوار الحب فى قلبه ، فأدا ما خان صاحبه تذكر فعلها به فحاول ان يتلمس لصاحب العذر ، حيث قال :

دَعَاكَ إِلَيْهَا مُقْلَّتَهَا وَجِيدَهَا فَمَالَتْ كَمَا مَالَ الْمُحِبُّ عَلَى عَمْدٍ^(٢)

من خلال عرضنا لابيات الغزل في شعر أبي ذؤيب الهذلي نستطيع ان نستنتج الآتي :

١- ان ابا ذؤيب لم يحمل حبه على محمل الجد بل ان الحب عنده وسيلة للهبو وقضاء الوقت

٢- انه لم يكن يجيد الحديث عن احساس المرأة وانفعالاتها ومشاعرها ، كما انه لم يحاو ان يصف جسدها .

٣ – ان الغز عند ابى ذؤيب الھذلی فی کثیر من قصائدہ کان وسیلة لا غایة ، فهو يرد على سؤال المحبوبة له عن حاله وسبب شبه ليتخد من ذلك منطلقاً لعرض الامه وما اصابه من نکبات

٤ – ان كثرة النساء في شعره تنفي وقوعه في تجربة حقيقة ، هذا علاوة على شذوذ تلك العلاقة وفشلها منذ البداية .

(١) شرح اشعار الهدلبيين ، ابى سعيد السكري ، حققه عبد السنّار احمد فراج ، ١: ٢١١ ، الديوان ، ص ٣١

(٢) شرح اشعار الهدلبيين ، ١ : ٢١٩

٥ – ان ابا ذؤيب لا يأبه بالمرأة حين تتركه او تثير ضهرها لعواطفه فهو على استعداد دائم لنسيانها وقد ذكر هذه النقطة اكثر من مرة اذ قال :

فَإِنْ تَصْرُمِي حَبْلِي وَإِنْ تَبَدَّلِي
خَلِيلًا وَاحِدًا كُنْ سُوءُ قصارها^(١)
وَجَدْتُ بِعَزْمٍ وَأَسْتَمِرُ عذارها
فَأَنَّى مَا هُلْهُ رِثٌ وَصَلَّاهَا

فهو على استعداد دائم لترك المرأة الى غيره وهو يؤكّد انها لا تحل في نفسه منزلة هامة وان فقدها لن يسبب له ذ حزناً والماً .

٦ – ابا ذؤيب انساق وراء رغباته المؤقتة في اقامة علاقاته ، ولم يكن راضياً عن تلك العلاقات التي يقيمها ولكنه مغلوب على امره ، فقلبه هو الذي يسير عقله ، هذا المعنى تكرر في شعره ثلاث مرات اذ قال :

عَصَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ أَنَّى لِأَمْرَهُ
سَمِيعٌ فَمَا أَدْرَى أَرْشَدَ طُلَابَهَا^(٢)
وَقَالَ أَيْضًا :
نَهَيْتُكَ عَنْ طُلَابِكَ أَمْ عَمْرِو
بِعَاقِبَةٍ وَأَنْتَ إِذْ صَحِحُ^(٣)
وَقَالَ أَيْضًا :
عَصَانِي الْفُؤَادُ فَأَسْلَمْتُهُ وَلَمْ
اَكَ مِمَّا عَنَاهُ ضَرِيحاً^(٤)

(١) شرح اشعار الهمذانيين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد السنوار احمد فراج ، ، ١ : ٨٠ - ٨٢

(٢) نفسه ، ١ : ٤٣

(٣) ١٧١ : ١

(٤) نفسه ، ١ : ١٩٦

ب - الوصف

قال ابن رشيق : ((ان الشعر الا اقله راجع الى باب الوصف))^(١)

العربي الذي عاش في الصحراء كان يجد في سمائها الصافية ، وشمسها الساطعة وحيواناتها المختلفة ميداناً يلهم فيه ويحول ناقلاً تلك المناظر بدقة وعناء ، متبعاً حيوانات بيئته جعله يدرك ادق اسرار حياتها ، ويفصل في وصف اجزاء جسمها تفصيلاً رائعاً وشهر الحيوانات التي اهتم بوصفها هي الناقة التي احبها الجاهلي لانها سفينة الصحراء التي يتنق بها ومصدر غذائه وكسائه . كذلك وصف الفرس التي تحمله في الغارة وتفلت به من لحاق العدو ، واكثر الشعرا في وصف الصراع بين حيوانات بيئتهم ونقلوا ذلك الصراع فنياً تمثلت فيه روعة الفن ، ودقة الملاحظة .

واستخدموا الحيوان للتشبيه ، فشبهوا محبوباتهم بأجمل حيوانات البيئة كبقر الوحش والمها التي ألهمت الشعرا من جمال اللحظ فتنوا به وشبهوا به عيون حبيباتهم

كذلك اغرموا برشاقة غزال الفلا ، فشبهوا به محبوباتهم بجيدة وتأفته بتلتها ، ضمورها بضموره ، وصفوا النحل الذي يملأ بطنيه الجو غناه في الروضات وقت الربيع . وصوروا مشاهد الشروق والغروب وانوارهما تتعكس من خلال السحب او مجردة على المياه والجبال والزرع والأشجار ، فيتلون بألوان الطبيعة الخلابة .

والشاعر الهندي وصف اقليمه الذي عاش فيه لانه يمثل البيئة التي عاش فيها وذكر شجر الارطى الذي يكثر في منطقته ووصف الوديان والجبال والهضاب والسهول .

(١) ابن رشيق ، العمدة ، ٦٥

ولقد ملأ ابو ذؤيب شعره بكثرة من اسماء المناطق التي وطئتها اقدامه ، وكانت اكثر المناطق التي وردت في شعره هي تلك التي تقع في هذيل كالثمرا وجمح ومنى وعكاظور هالا والسرر ووادي الرجيج والضجع ونخب الخ .

وقد وردت المرأة في شعر ابي ذؤيب في غرض الوصف بصور عديدة اهمها :

١ – الظبية

وقف ابي ذؤيب عند غزلان الصحراء الشاردة فوصفها وشبه محبوبته بها وكان حين يتناول الظبية لا يكتفي بوصف مظهرها الخارجي وتناسق اعضائها وانما يصف حركاتها ، حيث قال :

<p>تَنْوِي الْبَرِيرَ حَيْثُ نَالَ اهْتَصَارُهَا^(١)</p> <p>جَنْيَ أَيْكَةَ يَضْفُونَ عَلَيْهَا قَصَارُهَا</p> <p>فَقَدْ مَارَ فِيهَا نَسْوَهَا وَاقْتَرَارُهَا</p> <p>كَلْوُنِ النَّوْرِ فِي ادْمَاءِ سَارَهَا</p>	<p>فَمَا أَمْ حَشَّفَ بِالْعَلَى يَهْ فَارِدٌ</p> <p>مُؤْشَحَةً بِالْطَّرْتَنِ دِنَّا لَهَا</p> <p>بِهَا أَبْلَثْ شَهْرَيْ رَبِيعٍ كَلِيْهُمَا</p> <p>وَسُودُّ مَا الْمَرْءُ فَاهَا مُلَوْنَةً</p>
---	--

الصورة تبدأ بظبية مدت عنقها الطويل لتتمكن من الاكل ، ثم يذكر ان ظهرها يجمع بين لونين مميزين يفصل بينهما طرفان حيث ينقطع اختلاف لون الظهر مع البطن . ثم ينتقل الى تحديد اقامتها في ذلك المكان النخب فيقول انما مكثت تهرب رب ربيع وكان تأكل من ثماره حتى ظهر ذلك جلياً في جسمها الذي امتلا .

(١) شرح اشعار الهدلبيين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد السنار احمد فراج ، ، ١ : ٧١ – ٧٣ ، الديوان ، ٨ . العلية : موضع ، تنوش : تناول ، البرير : ثمر الاراك ، هر العود : كسره ، ملونة ، الطرتان : طريتان في جنبها وهو حيث ينقطع اختلاف لون الظهر ، دنالها : اقترب لها

والصورة الثانية التي وصف بها شاعرنا الظبية لم يكتف بوصف مظهرها الخارجي وتلفتها ، وإنما حاول أن ينقل مشاعرها الداخلية فهو لا ينساً أن يذكر خوفها من حبل الصائد وخوفها أن يفاجئها وهي ترعى :

لِعُمْرِكَ مَا عِسَاءٌ شَادِنَا يَعْنِ وَإِذَا هِيَ قَامَتْ تَقْشِعُرُ مَا أَتَهَا تَرَى حَمَشَا فِي صَدْرِهَا ثُمَّ أَنَّهَا بِأَحَسْنِ مِنْهَا يَوْمٌ قَالَتْ تَدَلَّا	لَهَا بِالْجَزَعِ مِنْ نَخْبِ النَّجْلِ وَيُشَرِّقُ بَيْنَ الْلَّيْتِ مِنْهَا إِلَى الصَّفْلِ إِذَا أَدْبَرْتُ وَلَتْ بِمَكْرِ عَبَلْ اِنْصَرَمْ حُبْ أَمْ تَدُورُ عَلَى وَصْلِي
---	---

لقد اعطانا صورة متكاملة للعناصر عن هذه الظبية ، فهي تتبع ابنها بين جوانب البراري ، وهي اذا ما قامت فأنجلها يشعر خوفاً لأنها في حال ذكر وترقب لحبل الصائد ، فهي تخشى في كل لحظة ان ينقض عليها . ثم يصف جسدها فيذكر ان في صدرها دقة ، وفي عجزها اكتنازاً ويبدو جلياً حين تدبر .

وفي أبيات أخرى وصف ابو ذؤيب حبيبته بالظبية التي تقع في حبال الصائد الذي يدعى انها اصطادته فإنه وجد نفسه صريع لها دون ان يكون له اراده في ذلك يقول :

كَالظَّبْيِ سِيقَ لِحَبْلِ الشَّعْرِ ^(٢) بَاعَ بِكَفَّهِ حَبْلٌ مَمَّ عَ وَاسْتَحْكَمَتْ مِثْلَ عَقْدِ الْوَتَرِ	وَأَرْعُمْ أَنَّى وَامِ الرَّهِينِ فَبَيْنَنَا يُسَلِّمُ رُكَعُ الْيَدَيْنِ فَرَاغٌ وَقَدْ نَشِبْتُ فِي الْزَّمَانِ
---	---

(١) شرح اشعار الهدللين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد السنوار احمد فراج ، ١ : ٨٩ - ٩١ ، الديوان ص ١٠

(٢) شرح اشعار الهدللين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد السنوار احمد فراج ، ١ : ١١٤

٢ – النحل و المشتار

كان منظر اشتياج العسل من المناظر المألوفة في بيئه الشاعر وذلك لما اشتلتاه جبال الطائف وعسير من خلايا النحل التي كانت مطمعاً للكثير من المغامرين

فتناول ابو ذؤيب صورة العسل الممزوج بالخمرة المعتقة للصهباء ووضعها في صفحة بارقية . فتلك الخمرة المعتقة وذلك العسل الحديث الناتج بعد مزجهما سوياً ليسا أذ من طعم فم محبوبة ابا ذؤيب عندما قال :

ثَبَاثٌ عَلَيْهَا دَلْهَا وَإِكْتَابُهَا ^(١)	فِلْمَا اِجْتَلَاهَا بِالْأَيَّامِ تَحَيَّرَتْ
مُعْنَقَةٌ صَهْبَاءُ وَهِيَ شَيَابُهَا	فَأَطِيبُ بِرَاحِ الشَّامِ حِرَفًا وَهَذِهِ
جَدِيدٌ حَدِيثٌ نَحْتُهَا وَاقْتِضَابُهَا	فَمَا أَنَّ هُمَا فِي صَفَحَةٍ بَارِقِيَّةٍ
مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّفْتُ عَلَى ثِيَابِهَا	بِأَطَيَّبَ مِنْ فِيهَا إِذَا جِئْتُ طَارِقًا

(١) شرح اشعار الهمذيين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد المستار احمد فراج ، ١ : ٤٨ - ٥٤ ، الديوان ٤ - ٥

(المبحث الثاني)

(الحبيبة الرمز والاسطورة)

المبحث الثاني

الحبيبة الرمز والاسطورة .

اولاً : **الحبيبة** : تغنى الشعراء الهذللين بالحبيبة وحبها كثيراً ، فجاء نصيبيها في شعرهم كبيراً ، اذا اخذوا بوصفها وصفاً دقيقاً معتبرين عن ذلك الحب الذي كثيراً ما اتعبهم في حياتهم القاسية ويحاول كل شاعر ان يفسف حبه للحبيب ما تمليه عليه العاطفة التي يحس بها وطبيعة المنطقة التي يسكنها أبو ذؤيب الذي عاش في الجبل وألف حياة البدو والجري خلف الظباء ، يرى حبه كالظبية التي تسعى الى الدخول في شباك الصائد فجأة دون ارادتها ، فتصبح لا حول لها ولا قوة^(١) وتنعكس حياة المدينة على حياة الشاعر الاسلامي امية بن ابي عائذ ، غيرها كالطير الذي يأتي بنفسه الى القفص باحثاً عن شئ ما :

**فَسَبَّتْ بَنَاتُ الْقَلْبِ فَهِيَ رَهَانِ
يُحِبَّ لَهَا كَالطَّيْرِ فِي الْأَقْفَاصِ^(٢)**

فهو وان لم يختلف مع ابو ذؤيب في فكرته عن الحي الا ان صورة الطير والقفص هي صورة حضرية اكثراً مما هي بدوية او جبلية .

(١) ينظر شرح اشعار الهذللين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، ١١٤ / ١

(٢) نفسه / ٢ ٤٩١

وقد اشار ابن رشيق الى الباعث الغني في تعدد رموز المرأة بقوله ((وشعراء اسماء تخف على ألسنتهم وتحلو في افواههم ، فهم كثيراً ما يأتون به فوراً))^(١) اما المحدثون فمال معظمهم الى التفسير الرمزي فأخضعها بعظامهم الى التفسير الوجودي^(٢) وعدها اخر رمز للحياة^(٣) وبعظامهم منح عنصر المرأة دلالة واقعية وموضوعية^(٤) . وعلى الرغم من جدة وطراوة محاولات المحدثين^(٥) التي تسعى الى تجزئة القصيدة الشعرية المتكاملة ، فإن هذه المحاولات تقسر استقلالية بعض الاغراض دون ان بين ثمة رابط بينها او بينها وبين الموضوع الاصلي للقصيدة .

فقط لوحدة الغزل تبعاً لذلك ، ويظل غيرها من الاغراض متميزة من الاغراض الأخرى .

(١) العمدة ، ابن رشيق القيرواني ٧٥-١

(٢) نفسه ٢ / ١٢١ وقد ذكرنا عدد من هذه الاسماء (ليلي ، هند ، سلمى ، راد ، لبنى ، افراء ، اروى ، ريا ، فاطمة ، مية ، علبة ، عائشة ، الرباب الخ)

(٣) ينظر مقدمة القصيدة العربية ، الدكتور حسين عطوان ٢١٦ ، ٢٢٠ ، (بحث)

(٤) ينظر الشعر العربي حتى اخر القرن الثالث الهجري ١٠٠ ، قراء ثانية شعرنا القديم ١٤٥ - ١٥٠

المرثاة الغزالية ٥ - ١ ودراستنا الدكتور عادل البياتي (رمز المرأة في الادب ایام العرب) و (تراث الحب في الادب العربي قبل الاسلام) ودراسة الدكتور محمود الجادر (حول مدلولات المرأة في مقدمة القصيدة العربية) ، الصورة في الشعر العربي ٥٣ - ١٢٠

(٥) ينظر الغزل عن العرب ١٢ - ٤٩ . الغزل في العصر الجاهلي ، الفصل الخامس ، المرأة في الشعر الجاهلي (الهاشمي) ٨٨ - ١٨٥ معلقات العرب ٢١٣ - ٢١٨ . الشعراوي ١٥٨

وكانت الرسل والرسائل من وسائل تبادل الحب بين الاحبة ، وكان العاشق يختار من هو ثقة ذلك في مراسلة حبيبته ، كي لا يخونه معها ، ولعل قصة ابي ذؤيب الهدلي مع خالد بن زهير (ابن عمه) الذي كان رسولاً لام عمرو (صاحبة ابو ذؤيب) خير دليل على ذلك ، قال ابو عمرو الشيباني : وكان ابو ذؤيب يبعث ابن عم له يدعى خال بن زهير ، الى امرأة يختلف اليها يقال لها (ام عمرو) وهي التي كان يشب بها ، فراودت الغلام على نفسه فأبى ذلك حينها قال : تكره ان ابلغ ابا ذؤيب . ثم طاو عها فقالت ما يراك الا الكوكب : فلما رجع ابي ذؤيب قال : والله اني لاجد ريح ام عمرو منك ، ثم جعب لايابيه الاستراب به ، فقال خالد بن زهير :

يَا وَيْلٌ مَالِيٌّ وَأَبَا ذُؤُبِّ
كُنْتَ إِذَا أَتَوْتَهُ مِنْ غَيْبٍ^(١)

وكانت وجه ابي المثلم رسولاً بين رجل يقال له (عامر بن عجلان) وبين جارة لها فكان الرجل اذا اراد صديقته عمدت امرأة ابي المثلم الى جارتها فجهت بينها وبينه^(٢)

شرح اشعار الهدليين ، ابي سعيد السكري ، حفظه عبد الستار احمد فراج ، ١ / ٢٠٧ . اما رواية الاصمعي في شعر خالد بن زهير

يا قوم ما بال ابي ذؤيب

يمثرأسي ويشم ثوبني

كأنني اتوته بيرجب

(٢) نفسه : ٣٠٣١ وينظر ٣٠٤ – ٣٠٧

اصبحت الذكريات والاطلال و الرسوم الحزينة ما يرمي الى فراق الحبيبة ، فيقف الشاعر باكيًّا بغزاره يقول ابو ذؤيب :

يَا بَيْتَ دَهْمَاءِ الَّذِي أَتَجَنَّبُ
ذَهَبَ الشَّبَابُ وَحُبُّهَا لَا يَدْهَبُ^(١)

وهكذا كان الشعراء يتذمرون على فراق احبتهم بالطول والاثار التي تشير ذكرياتهم معنى اذا جعلوها مدخلاً لقصائدهم ليثبتوا من خلالها احزانهم ويسألهم في الحياة .

وكان الرحيل اكثر ما يعانيه العشاق في حبهم فتحذثوا عنه مفصلين القول فيه تفصلاً دقيقاً ((شعراء البوادي اكثر تغنا في وصف الرحيل واثاره في نفوسهم لانه من مقومات حياتهم))^(٢)

وقد فاض الشعراء بوصف طيف المحبوب ، لما له من وقع في نفوسهم ((فالخيال يكاد يكون مستودعاً تستمد قوى النفس منه مادتها الاولية))^(٣)

فيه يخف الشاعر عن نفسه ألم الفراق والحرمان الشديدين (فما زالت الشعراء في القديم والحديث تصف الطيف بأنه طمع كاذب وظل باطل ، وظل زائل ، ويتصرفون في ذلك احسن تصرف ، ويتقربون املح تقلب)^(٤)

فمن الشعراء من حاول تصوير الطيف كأنه شيء واقعي محسوس وهذا نوع من انواع الخداع النفسي وهو يستدعي الراحة للنفوس القلقة . ومن الشعراء طائفة اتجهت الى وصف قدرة الطيف على قطع المسافات مظهرين اعجابهم بذلك^(٥)

(١) شرح اشعار الهدلتين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد السلام احمد فراج ، ٩١١ - ٩١٢ / ٢

(٢) نفسه / ٢ / ٥٤٢

(٣) الخيال في مذهب محي الدين بن عربي (محمود قاسم)

(٤) طيف الخيال ، الشريف المرتضى ، تحقيق حسن كامل الصيرفي : ١٠٩

(٥) المرأة في الشعر الجاهلي ، د. علي الهاشمي : ١٣٤

البرق

ولا يقل البرق اثراً عن الطيف عند الشعراء عند ذكره الحبيبة بل ربطه معظم الشعراء بالحبيبة فهي مصدره كما يقول ابو ذؤيب :

فَبَثُّ أَخَالْهُ وَهُمَا خِلَاجٌ^(١)

أَمْنُكَ الْبُرْقِ أَوْمَضَ ثُمَّ هَاجَا

ثَلَاثًا مَا أَبَيْنَ لَهُ انْفِرَاجًا

تُكَلَّ فِي الْغَمَادِ فَارِضَ لَيْلَى

كَانَ عَلَى نَوَاحِي الْأَرْضِ سَاجِدًا

فَمَا أَضْحَى انْقِلَاعَ الْمَاءِ حَتَّى

الظبية

وتظهر سيادة المرأة التي يصبح إليها الناس ، ويصرح الشاعر بأنه اعلم الرسل إليها ويخبرها اما علاقته بها فهي علاقة متماسكة لا خلاص منها اذ يقول

وَأَزْعُمُ أَنِّي وَامِ الرَّهِينِ كَالظَّبْيِ سِيقَ لِحَبْلِ الشَّعْرِ^(٢) فهو لا يستطيع الخلاص منها فهي تمسك به كما الظبي عند وقوعه في حبال الصائد ، وهي علاقة مقدسة لأن الظبي يرمز للقداسة عندهم . كما شبهوها بالظبية. التي اختلفت الألوان في طريتها يقول ابو ذؤيب :

والشاعر هنا يصف حالة هذه المرأة التي اختلفت ألوانها والحالة النفسية التي هي عليها بتشبيهها بالظبية التي تنزع منها ابنها ، فإذا هي على تلك الحال ، وقد اظهر الشاعر براعته في اختيار الألوان في هذا الوصف ، كالابيض والابيض الممزوج بالصفرة من جهة ، وانفعاله بتمازج الألوان مع ألوان الطبيعة النباتية والحيوانية والظواهر الكونية والجغرافية الأخرى .

(١) شرح اشعار الهذللين ١ / ١٧٧ - ١٧٨ وينظر ٢ / ٥٣ - ٥٣٣ ، ١٦٧ / ١ ، ١٠٥ / ٣ ، ١٠١٢ ، ١١٠٣ -

(٢) نفسه ١ / ١٤٤

(٣) نفسه ١ / ١٣٦ وينظر ٨٩

ثانياً - رمز الجمال الانثوي :

كان لجمال المرأة الباهر اثر في نفوس الشعراء ، الامر الذي حدا بهم إلى التغنى بها مفصليين القول في مقارنتها واجزاء جسمها ((معتبرين بذلك عن عاطفة جمالية اتجاه المرأة))^(١)

وكان لعيون المرأة اثرها الفعال في نفوس الشعراء ، ولسحرها الاخاذ جاذبية كبيرة فتنت عقولهم وقلوبهم ، بل هي نافذته التي يطلون من خلالها على ذلك العالم مليئ بالحب والحنان^(٢) وليسوا به ألامهم ومتاعبهم وحرمانهم الناتج من طبيعة حياتهم القاسية ولهذا كان الشعراء يعبرون عنها بأوصاف جميلة متقد علىها عدم ونلمح ذلك جلياً في شعرهم^(٣)

كما احبو العين الواسعة ، والساكنة الطرف^(٤) وقد اكثر الشعراء من تشبيههم لعيون المرأة بعيون المهاة والغزلان ، ولما كانت العين هي وسيلة التفاهم بين الاحبة كانت للنظرة منها اثر بالغ في نفوسهم ، فهي ليس لها مثيل^(٥) بل ان نظرتها اليه تشقيه كثيراً وتأسر له ، يقول ابا ذؤيب :

تَعْلُقُهُ مَنْهَا زُلَّ وَمَقْتَنَةٌ

(١) مظاهر التحضر عند شعراء الغزل في صدر الاسلام و العصر الاموي ، عبد الله حبيب ، سالة ماجستير كلية الاداب جامعة القادسية : ٦٧

(٢) ينظر الغزل في العصر الجاهلي : ٤ ، د.احمد الحوفي

(٣) ينظر ديوان عمر : ٣٥٩ ، ٣٩٢ ، ١٣٢ ، ٦٦ ، ديوان جميل :

(٤) شرح اشعار المهللين : ٢ / ٨٩٧ ، وينظر ٣ / ١٠٩٩ ، ٣ / ١٠٠٩

(٥) ينظر نفسه : ٣ / ١٠٥٥ ، وينظر ٣ / ١٠٥١

(٦) نفسه : ١ / ٢١١

وفي قصيدة اخرى يربط الشاعر الخصب و مظاهر النماء بهذه المرأة فيقول :

حَنَّاْمُ سُورٌ مَأْوُهْنَ شِحْجٌ
سَقِيَ أَمْ عَمِرو كُلُّ أَخْرَ لَيْلَةٌ

فهذه المرأة يبدو انها مسؤولة عن ذلك الخصب بل هي مصدر المطر وهو عطاء منت به على بنى البشر ، والشاعر سعيد لذلك العطاء

ويصف الشاعر هذه المرأة (بالدرة) المتوجهة وقد اختارها ابو ذؤيب كنية اخرى هي (ابنة السهمي) ، قائلاً

كَانَ ابْنَةُ السَّهْمِيُّ دُرَّةُ قَامِسٍ لَهَا
بَعْدَ تَفْطِيعِ النَّبُوحِ وَهِيجٌ

وبعدما يصف الشاعر تلك الدرة ومعاناة الغواص في جلبها من أعماق البحر ، اذ يقول :

عَشِيَّةً قَامَتِ بِالغِنَاءِ كَانَهَا
عَقِيلَةً تَهْبُّ تَسْتَطِفِي وَتَفْوُخُ
وَصَبَّ عَلَيْهَا الطَّيْبُ حَتَّى كَانَهَا
أُسَيٌّ عَلَى أُمِّ الدَّمَاهِ حَجِيجٌ

وقد اشار الى (الافعى) ايضا تلك التي تطالعنا الى الغواية والغدر في القصص التوراتية قال :

فَأَنْ تُعْرِضِي عَنِّي وَإِنْ تَتَبَلَّـي
خَلِيلًا وَمِنْهُمْ صَالِحٌ وَسَمِينٌ
فَأَنَّـي تَجَرَّـثُ النَّفْسَ بَعْدَ إِبْنِ عَنْبَـسٍ
وَقَدْ لَجَ مِنْ مَاءِ الشُّوُونِ لِجَوْجَـ

فالشاعر هنا حزين لما اصابه وما اصاب (ابن عنبس) الذي قتل من جراء الحرب ويبدو ذلك التناقض في لوازم الاسطورة ، فهذه المرأة التي رمز لها بالخصب والنماء والطيب تعود لتكون امرأة مسؤولة عن الحب والجنس وال الحرب التي قتلت بها (ابن عنبس) الذي رثاه وكانت في بادئ الامر (درة وغزاله) واخيراً بدت (افعى صيادة)

(١) شرح اشعار الهدلبيين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، : ١٢٨ / ١

(٢) نفسه / ١٣٣

(٣) نفسه / ١٣٥

(٤) نفسه / ١٣٧ / ١

وقد ابدع الشعرا في تصويرهم لشغور محبوباتهم وطيب ريقها ، بأروع الصور و اجملها ،
مازجين بينها وبين طيب الروائح و المطبيات الموجودة في بيئتهم .

وقد تمكن ابو ذؤيب الهذلي من الرابط بين (العسل ، والطيب ، والخمرة) وبين ثغر محبوبته (اسماء) بصورة رائعة ، تبعه في ذلك ابو صخر الهذلي^(١) ولعل ابو ذؤيب في سرده المفصل لما يلاقيه (تاجر الطيب و الخمر ، ومشتار العسل) من احوال و مصاعب جمة اثناء عملهم هذا^(٢) اعطى لصورته رقياً واضحاً تاماً للوضوح في معاناته مع الحببية وما يعانيه هؤلاء ، عبر من خلاله عن رقي الحببية و تعلقه بها .

وبعد عرضه لمشهد ملي بالمخاطر ، يصور لنا اجتماع (الخمر والعسل) في اداء حديث النخب^(٣) بصورة جميلة يتمناها المرء ويسعى اليها ل لكنه يصرح بعد ذلك ان ثغر (اسماء) اطيب طعماً وألذ مذاقاً بع تناصف الليل و التقاوه معها في ثيابه فيقول :

مُعْتَقَةٌ صَهْبَاءُ وَهِيَ ثِيَابُهَا ^(٤)	فَأَطِيبُ بِرَاحِ الشَّامِ صَرْفًا وَهَذِهِ
جَدِيدُ حَدِيثٍ نَحْتَهُتْ وَأَفْتَصَابُهَا	فَمَا أَنَّ هُمَا فِي صَفْحَةٍ بَارِقِيَّةٍ
مِنْ اللَّيْلِ وَالْتَّفُّ عَلَى ثِيَابِهَا	بِأَطِيبِ مِنَّةٍ فِيهَا إِذَا جِئْتُ طَارِقًا

وقد تغنى الشعرا بجي المرأة فهو موضع من مواضع الجمال والاغراء ومن اوصافه المحببة لديهم الطول و الانتساب و قد شبه الشعرا اجياد محبوباتهم بأجياد الظباء لطولها و جمالها^(٥) وفي الجيد المتناهي في الجمال يقول ابو ذؤيب

إِذَا جَالَسْتُهُ فَلَخَ قُدَّامِ ^(٦)	يُشْعِلُنَّ الْعَرَابَ فَهُنَّ سُودٌ
--	--------------------------------------

(١) ينظر اشعار الهذليين ٢ / ٩٥١ / ٩٥٤ / ٩٦٩

(٢) ينظر نفسه : ١ / ٤٤ وينظر ١ / ٤٨

(٣) ينظر نفسه : ١ / ٥٤

(٤) نفسه ١ / ٥٤

(٥) نفسه ٣ / ١٠٤٠

(٦) نفسه ١ / ٩٠

ثالثاً : الاسطورة

الاسطورة وتعاريفها^(١)

ان العلماء ذهبوا في تعريف الاسطورة مذاهب شتى فمنهم من رأى في الاساطير حكايا القدماء في الدين مثل (زينوفاينس) ورأى سقراط ان صفات الالهة يمكن اكتشافها من خلال تحليل اسماء الاصنام ومنهم من قال ان الاسطورة هي صورة متذكرة ومنهم من ذهب ان الاسطورة من صور التفكير البدائي حينما كانت مسطورة او مطبوعة في الالواح او الاذهان على ح قول الاسطورة الاغريقية .

ومنهم كرابرتسن سمعت حد الاسطورة انها مستلهمة من العادات والشعائر لا العكس ومنهم من رأى (كالويس اسنس) ان الاساطير تشكل عنصراً مهما لدين القدماء ومن هذا يتبيّن ان كل واحد الصياغ اختيار نوع من انواع الاساطير ولم يضع تعريفاً جاماً او مانعاً للأساطير بأسرها .

الاسطورة في اللغة والاصطلاح^(٢) :

يقال في اللغة سطر الكتاب : سطره وسطر الورقة : رسم فيها خطوطاً بالمسطرة وتسطر العبارة : ألفها ويقال: سطر الاكاذيب . وسطر علينا : قص علينا الاساطير ، والاساطير الاحاديث لا نظام لها والاساطير ايضاً الاباطيل والاحاديث العجيبة وفي التزيل العزيز <> إن هذا الا اساطير الاولين <> واحدها : امطار ، اسطير ، اسطور . وفي الاصلاح الاسطورة ؛ حكاية يسودها الخيال وتبرز فيها قوى الطبيعة في شكل ألهة او كائنات خارقة للعادة ، فهي اقوال واحاديث منمقة او مزخرفة كثُر استعمالها في التراث الشعبي لمختلف الامم ويستخدم الادباء الاسطورة للتعبير عن فكرة او عن معتقد ما .

(١) مجلة افاق الحضارة الاسلامية ، العدد <> الخامس والعشرين <> ربيع وسيف ١٣٨٩ هـ بن

(٢) الوسيط معجم ((سطر))

قبل الخوض في ما ذهب اليه الباحثون في قراراه للاسطورة في شعر ابي ذؤيب وما عقده من مقارنة مع شخصياتها ، لا بد ان نذكر على ان اهم الروايد التي رفتت مخيلة الشاعر العربي بالإضافة الى الاسلام هي :

١ – الاسطورة السومرية ، والبابلية ، والاكدية .

٢ – التوراة

٣ – الثقافة اليونانية و المسيحية^(١)

وقد جاءت دراسة الدكتور نصرت عبد الرحمن (الواقع و الاساطير في شعر ابي ذؤيب) متقدحأً ما اورده ابو ذؤيب في (ام عمرو) مقارنة بينه وبين (سواع) ألهه هذيل و (عشتار) ألهه سكان حضارة العراق القديمة ، وبعد استقراره شعر ابي ذؤيب ، زعم ((اننا قبلة اسطورة هذيلية تشبه الى ح كبير اسطورة عشتار البابلية^(٢) ولعل ما حمل الدكتور نصرت عبد الرحمن على ذلك لاعتقاده على ان (انانا – عشتار) ، هي الإلهة الالم عند سكان وادي الرافدين معتمداً على اغلب الدراسات والبحوث التي قررت ذلك . وقبل ان نلتمس بوضوح وجوه التشابه والاختلاف بين (ام عمرو ، سواع ، عشتار) لابد لنا من معرفة شخصية الإلهة الالم عند سكان وادي الرافدين ودورها الموكل اليها ، وكذلك معرفة دور الإلهة (عشتار) ودورها عندهم .

(١) ينظر النظم والكلام ، اود نيس : ٢٠١

(٢) الواقع و الاسطورة : ١٧٩

(ام عمرو)

وفيما تقدم نجد الصراع بين ابو ذؤيب وخالد بن زهير حول (ام عمرو) وهو صراع فريد من نوعه ، انه صراع الجنس المقدس في الميثولوجيا الوثنية بل ((هو صفية العلاقة بين الخلود واللالوهية و هتنا فضاء اللذة الرحب الذي يلتقي فيه في الميثولوجيا القديمة ، الالهية ما البشر ويحصل التزاوج بينهما ، انه القاسم بينبني البشر والالهة))^(١) فهذه المرأة (ام عمرو) تبدل غلمانها على مر الزمن وهي باقية على ودعها ولا تشيب بينما الرجال يكبرون ويتشيبون ، ويتمكن عشاقها من انزال النقاب بأني شخص يتعرض لهم بسوء انها امرأة ذات رائحة متميزة و العلاقة بها امانة كبيرة لا يحملها كائن من يكون ، لأنها ترتبط بالأهل وسر من اسرار القبيلة .

(ام الرهين)

فهذه المرأة (ام الرهين) صاحبة الديار اقامت بوادي عشر اربعة اشهر (شهرى جمادى الاول وجامدي الاخرة ، وشهري جمادى وصفر) بمفردها كالحنيف وابتنت خيمة من القصب على ضفاف النهر وتشرب من آذ ألبان النياق اللواتي رعين البدية والحضر وبقصد هذا العرض الذي دهشنا به الشاعر يقول :

أَكْنِي أَلِيهَا وَحَيْرَةُ الرَّسُوْلِ
لَأَعْلَمُهُمْ بِنَوَّاهِي الْخَبَرِ^(٢)

بِالْحِجَوْنِ وَبَيْنَ السُّرُّ
وَمَا كُنْتِ فِينَا حَدِيثًا بِيرِّ

فَقَالَتْ تَبَصَّرْتُ فِي حَجَّنَا^{*}
بِأَيَّةٍ مَا وَقَفْتُ وَالرَّكَا

(١) العنف و المقدس و الجنس في الميثولوجيا الاسلامية ، تركي على الريبعو : ٨٤

(٢) شرح اشعار الهدلبيين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، ١١٣ / ١

اولاً : الصراع الجنسي بين (ام عمرو) وابي ذؤيب وخال بن زهير .

تظهر (ام عمرو) في شعر ابى ذؤيب امرأة لعوب استبدلت به رسوله إليها (خالد بن زهير) وقد دارت بينهما قصائد في ذلك ، منها قال ابو ذؤيب عندما علم بخبرها :

كَلِيهِ الْوُسُوقُ بِرُّهَا وَ شَعِيرُهَا^(١)
كَرَافِعِ التُّرَابِ كُلُّ شَئِ يَمِيرُهَا
مُطْبِقَةٌ مَنْ يَأْبَهَا لَا يَضِيرُهَا
وَبَعْضُ أَمَانَاتِ الرِّجَالِ غُرُورُهَا
بِهِ الْبَزْلُ حَتَّى تَتَأْبَهُ صُدُورُهَا

وَمَا حَمَلَ الْبَخْتِي عَامَ غِيَارَة
آتِيَ قَرْيَةً كَاثْ كَثِيرًا طَعَامُهَا
فَقِيلَ تَحْمَلَ فَوْقَ طَوْقَكَ أَنَّهَا
بِأَشْقَلَ مِمَّا كُنْتَ حَمَلْتَ خَالِدًا
وَلَوْ أَنَّنِي حَمَلْتُهُ الْبَزْلَ مَا شَمَتْ

ويصرح الشاعر بأنه امين ، والامانة تحتم عليه و شأنهما فهو لا يقربها بعد الان لأنها تغيرت وغدرت به ، اما هو لا يقدر فيها لخوفه من الموت ومن بقاء الاثم و العار عليه وعندها سيخذله اعوانه و انصاره ثم يقول :

تَوَالِي عَلَى قَصْدِ السَّبِيلِ أُمُورُهَا^(٢)
وَفِي النَّفْسِ مِنْهُ فِتْنَةٌ وَفُجُورُهَا
أَغَانِيَجُ خُودَ كَانَ قُدُّمًا يَزُورُهَا
تَظَلُّ لِأَصْحَابِ الشَّقَاءِ تُدِيرُهَا

رَعِيَ خَالِدًا مُرِي لِيَالِيَ نَفْسِهِ
فِلْمَا تِرَاماًهُ الشَّبَابِ وَغَيْهِ
لَوَى رَأْسُهُ عَنِّي وَمَالَ بِوَدُهُ
تُلْقِيَ وَنَهَا دَلَالَ وَمُقْتَهَ

ونلمس من هذه الابيات عذراً نفسياً لخالد بن زهير فعلى الرغم من اتهامه قبل هذا بغي (ام عمرو) الا انه يصرح بهذه الابيات انه كان يحفظ سره برهة من الزمن ، الا ان مرحلة الشباب التي بلغها خالد بن زهير هي سبب في ما صار اليه ، فالشباب غي من العمر مبلغه فهي امرأة حسناء قادرة على اعلاق الرجال الشباب بدلالها وتفجعها ومقتها التي تظل تديرها على الفتىان فيشقون بنظراتها القاتلة .

(١) ديوان الهدلبيين ١ / ١٥٥ - ١٥٦

(٢) نفسه ١ / ١٥٦

هذا وقد اشارت الاحداث التي نقلها لنا ابو ذؤيب الهمذاني الى سيادة السلطة الامومية المتمثلة بـ (ام عمرو ، وام الحويرث ، وام الرهين) وقد مثلت تلك المظاهر ألهة الهمذانيين (سواع) كونها الالهة الانثى ، كما مثلته جدة الهمذانيين (خنف) التي نسبوا اليها . ولعل تفاوت مشاعر ابو ذؤيب الهمذاني ازاء هذه المرأة (ام عمرو) بين الرغبة والرهبة ان من طبيعة النساء ((محيط صبوت الرجال وشهواتهم ، وهن بوسعيهن الحكم على رجولتهم وقوتهم الجنسية بمعنى انهن المرغوبات المرهوبات في الوقت ذاته))^(١) وهذا يفسر استبدال (ام عمرو) لابي ذؤيب بعدما لاح به الشيب بذلك الفتى (خال بن زهير) ولعل فشل ابى ذؤيب الجنسي امامها وامام غريمها ، هو السر الذي اضاعه خال بن زهير فشاع الخبر امام الناس عن ابى ذؤيب وهو امام العشيرة ، لأن الجنس هو (صيغة العلاقة بين الخلود والالوهية)^(٢)

ان استغراق قوى الشباب من قبل (ام عمرو) وما حصل لابي ذؤيب بعد علاقته الطويلة بها ، يذكرنا مع ما حصل له (انكيدو) عند ممارسته الجنس مع كاهنة الربة (عشتار) فقد اصبح بعد ذلك ضعيف القوى خائر ، بعدما كان قوياً مت渥شاً وهذا ما تقصه علينا ملحمة جلجامش :

" ولبث (انكيدو) يتصل بألفي سنة وسبعين ليل^(٣) وبعد ان قضى واطره منها وجهه وجده الى الفه من حيوان البر فما ان رأت الطباء (انكيدو) حتى ولت هاربة عنه هم انكيدو ان يلحق بها ولكن شل جسمه لقد خذلته ركبته لنا ارا اللحاق بحيواناته .

(١) جدل الانوثية في الاسطورة (تيميات تغنى الانثى للتاريخ) ، لطيفة الدليمي (مقالة) ، مجلة الاقلام ، العدد ٢ ، اذار – نيسان لسنة ٢٠٠٠ ، ٧٤٠ .

(٢) العنف المقدس والجنس في الميثولوجيا الاسلامية : ٨٩

(٣) ملحمة كلكامش طه باقر : ٨٣

ثالثاً : بين (ام عمرو - سواع) (نخرساج) (عشتار) .

ما لا شك فيه ان (ام عمرو - ام الحويرث - ام الرهين) هي كنى لامرأة واحدة ، وذلك لتشابه الصفات التي تمتلك كل واحدة منهن ، مما يشير الى انها امرأة واحدة ، هذه المرأة التي امتلكت قوى غير اعتيادية لا تملكها امرأة حقيقة ، بذلك يمكن ((ان تكون ام عمرو كنية ربه هذيل في الجاهلية سواع))^(١)

ولربما ((اجتمع فيها الثالوث الذي لا ينفصل في الديانة الوثنية - الربه - الكاهنة ، والصنم ، كاهنة تمثل الربة ، وتنطق باسمها وتمتلك ما تملك ولها قدرتها كما تملك كاهنة معبد عشتار ذاتها ، وتتصرف كما تتصرف ، وصنم يجسم الربة او يرمز اليها وله قدرتها))^(٢) الا (سواع) بـ (عشتار)^(٣) فليست كل ما اتصف بها (ام عمرو وسواع) ينطبق على (عشتار) بل ان اغلب الصفات التي اتصف بها (ام عمرو) كنيته (سواع) ان صح الزعم ، تتطبق على الالهة (نخرساج) الالهة الام عند سكان وادي الرافدين المسؤولة عن الخصب و النماء ، وسيدر الجبل و (ام عمرو) هي ام البنات والصبية^(٤) وقد اخذت (ام عمرو) ابرز صفة ان لم تكن الوحيدة للالهه (عشتار) الا وهي (صفة الحب والجنس) وبذلك تكون الالهة (سواع) معبودة الهذيليين فقد جمعت بين صفات متشابهة لـ (نخرساج) و (عشتار).

(١) الواقع والاسطورة : ١٨٧ (قام الدكتور نصرت عبد الرحمن بمقارنتها مع عشتار)

(٢) نفسه : ١٧٥

(٣) نفسه ١٧٩

(٤) ينظر شرح اشعار الهذيليين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، ١٦٦ / ١

اما ما ربطه الشاعر من مظاهر طبيعية مثل (المطر ، البرق ، الرعد) فهو محاولة من محاولاته في فهم هذه الظواهر و التعمق في مسبباتها ، فعزاها الى قوى غير اعتيادية ، رابطاً بينها وبين الالهة والبشر ، مدوناً معها تجاربه الخاصة ، وهذا يتفق مع الباحثين الذين رأوا في الاسطورة محاولة لفهم تلك الظواهر ، وكانت بعض الصفات التي اشار اليها مثل الطقوس الدينية التي يقومون بها ، وهذا يتفق مع من رأى في الاسطورة حكاية عن طقوس وشعائر دينية للعبادات القديمة .

ويظهر تأثر الشاعر بالقصص التوراتية (حواء التوراتية) بأشارتة الى (الافعى) كما نجده في التوراة ، بأن حواء تواطأت مع الافعى لاغواء ادم بثمرة محمرة .

ان تأثر الشاعر بهذه القصص دلالة واضحة تؤكد صحة ما ذهب اليه الدكتور نصرت عبد الرحمن ان ابا ذؤيب شاعر اصنام^(١) . ومما تقدم يتضح لنا ان الالهة (نخرساج - سيدة الجبل) هي الالهة الام التي تختص بالخصب والانجاب ، اما الالهة (اانا - عشتار) هي المسئولة عن الحب والعلاقات الجنسية لذا ما ذهب اليه الدكتور نصرت عبد الرحمن في قراره لبعض الصفات لـ (ام عمرو ، سواع) لا تتطبق على الالهة (عشتار) .

وبعد استقراء الاسطورة التي اوردها ابو ذؤيب الهذلي (ام عمرو) والتي مثلت الالهة (سواع) تلمس بعض الصفات المشتركة بين الالهتين (سواع) و (نخرساج) فالالهة (نخرساج) هي سيدة الجبل ، و (سواع) الة الهذليين الذين سكنوا الجبال فهي اذن (الة الجبل) هذه من جهة ، ومن جهة اخرى ان الالهة (نخرساج) هي المسئولة عن (الحب و الانجاب) وقد ارتبط معنى (سواع) بالاخصاب ايضاً^(٢) هذا وقد بدت (ام عمرو) في شعر ابي ذؤيب اماً لبنيات وهذه الصفة تتطبق على (نخرساج) ليس على الالهة (عشتار) التي لم تعرف بذلك^(٢)

ان الصفة الوحيدة التي تشتراك فيها (ام عمرو) مع الالهة (عشتار) هي صفة (الحب و العلاقات الجنسية واستبدال الازواح) لذا فإن صحت المقارنة وصح الرزعم بأن (ام عمرو) قد مثلت (سواعاً) الة الهذليين اخذت الالهة (نخرساج) عدة صفات منها (الامومة ، والانجاب ، و الخصب ، والنماء وسيدة الجبل) وق اخذت من الالهة (عشتار) صفة واحدة هي الحب والعلاقات الجنسية .

(١) ينظر الواقع والاسطورة : ١٣٥ - ١٣٦ ، واصل الخة ان ((ابا ذؤيب مولف زورا)) ، العمدة ١ / ٨٨ وينظر المزهر ٢ / ٤٨٣ ، وينظر طبقات فحول الشعراء : ١٣١

(٢) ينظر لسان العرب ، (مادة سواع)

المبحث الثالث

(البناء الفنـي في شـعر اـبو ذـؤـيب الـهـذـلي)

- البنية الفنية للقصيدة الهدلية بنية لوحات الافتاح .

ثمة مرحلتان مرتبطتان تشكلان التجربة الكلية للنموذج الفني الموروث (القصيدة) تتضمن المرحلة الاولى فنون الظعن والنسب والغزل والطيف و الفروسيّة ، والحديث عن الرحّلة واوصافها وتشبيهاتها ، والشكوى من الشيب و الهم ... الى اخر هذه الصيغ المختلفة التي قد يختار الشاعر منها مقدمة لقصيدته ما يناسب تجربته ، وتتسم هذه الموضوعات بالتعبير عن التجربة الذاتية .

اما المرحلة الثانية فتضم موضوع القصيدة الاصلي ... او تجربتها الموضوعية . فقد قرن هذا البناء الفني نفسه ، واستوّعّبت موضوعاته المختلفة مختلف التجارب الشعرية وهموم الشعراة الشخصية ، فأخذ نقاد الشعر في العصور العربية المختلفة معياراً فنياً شائعاً يقومون على اساسه شعر الشعراة او محاولة لتفسیر البناء الموضوعي للقصيدة القديمة واهماها ، محاولة ابن قتيبة وفيها كشف عن بناء القصيدة العربية حين تتحدث عن المدح وخصوص مراحل المدح فيها^(١) . نشيراً الى تفسير دواعي استمرار هذا النّظام الفني^(٢) ، وكونه نابعاً من ضرورة فنية كانت تقضي بمتابعة الشعراة الجاهلين الذين ارسوا قواعد الاصلية الفنية للقصيدة الجاهلية العربية ، وترسم عظاهم الفنية حيث اخذت عندهم القصيدة شكلها التقليدي الثابت ، وان لم تكن منها ثابتاً موحداً لكل الشعراة القدماء ... فمذاهب الشعراء مختلفة في قصائدهم بأختلاف مناهم وشخصياتهم وموضوعاتهم .

(١) ينظر وحدة القصيدة في الشعر العربي ١٣٨ . شفراوي ورواته ٢٤٢ . الشعر الجاهلي قضایاها الفنية و الموضوعية ١٣٢ - ١٣٣

(٢) ينظر الشعر و الشعراء ، ابن قتيبة ١ / ٧٤ - ٧٦

وتردلت محاولة ابن قتيبة في اقوال المتأخرین من النقاد فأبن رشيق في وصف مذاهب الشعراء ((و للشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنسب لما فيها من علاقة القلوب واستدعاء القبول بحسب ما في الطياع من حب الغزل و الميبل الى اللهو و النساء ، وان ذلك استدراج الى ما بعده))^(١) وكان الشاعر الجاهلي اكثراً وعيأً بمتطلبات وعيه الابداعي فلا يمكن عزل المقدمة عن جو القصيدة العام ، فثمة خيوط خفية ، وجو نفسي عام ، وعواطف ، تثير احداث سرد القصيدة ، وتوثر فيها . و اذا كان نقادنا القدماء امثال ابن قتيبة وابن رشيق من احتفل بالشعر الجاهلي ، وحاول اثبات الموضوعية للقصيدة ، عن طريق الربط بين اغراض القصيدة القديمة وظروف الحياة الاجتماعية و النفسية للشاعر الجاهلي و الاسلامي ، فإن بعض ^(٢) الدارسين المحدثين اخذوا بأراء القدماء عند تفسيرهم لاقسام القصيدة ووجد بعضهم في وقوف الشعراء على الاطلال على سبيل المثال ، خضوعاً لفكرة الغناء والتناهي ^(٣) . كما رأى بعضهم ان الشاعر ((يغترب عن ذاته وواقعه))^(٤) وحاول بعضهم عزل العمل الفني عن ضروف صاحبه و بيئته عزلاً تاماً ، و النظر إليه بوصفه بنية (لغوية استاتيكية)^(٥) .

لقد فرضت المقدمة نفسها على القصيدة بأعتبارها واقعاً قلت فيه البيئة بعناصرها الجغرافية و الاجتماعية و النفسية ((ولكن الحياة الجديدة حملت نعي العديد من دواعيها ، اذ لم تعد لها هشاشة الحياة في الصحراء ، ولم تعد تلمس بها المظاهر الانسانية التي لا مفر منها ...))^(٦)

(١) العمدة ، ابن رشيق ٢٢٥ / ١

(٢) ينظر الشعر الجاهلي منه في دراسته وتقويمه ١٥٢ / ١ . وحدة القصيدة في الشعر العربي ١٣٧ - ١٣٨ وفيها عرض لتلتم الاراء .

(٣) ينظر مقدمة القصيدة في الشعر الجاهلي ٢١٧ ، ٢١٩

(٤) الغربة في الشعر الجاهلي ٢٤٣

(٥) ينظر دراسة الادب العربي للدكتور مصطفى ناصف قضايا الشعر في النقد العربي ٨٤

(٦) الظاهرة الادبية ٨٤

وإذا كانت بعض التجارب تعكس الحالة النفسية و الشعورية للتجربة (موضوع القصيدة) فهناك مقدمات غزلية تعبّر تعبيرًا صادقًا عن علاقات عاطفية للشاعر .. وتعكس تجارب واقعية كان الشاعر يعيّنها ، يلوّن بعدها مقدمته محاولاً إخضاعها لعوامل فنية وتقليدية موروثة . كما ان ظاهرة البكاء على الاطلال وجذنها تختفي فيها . بعد ... بل ان زهير بن أبي سلمى راح يتخلص من بعض عناصرها في المقدمات^(١) حتى اختفت فيما بعد ، واختفى الرفيقان ، وباتت المقدمة الاطلالية تتحول إلى مقدمة (تقلدية) .

ان بناء القصائد الجاهلية قد تصبح في بيئه غير مستقرة ، وقد وصلت القصيدة ألينا عن طريق الرواية في الاعم الاغلب ، وتعرضت للحذف والتقديم والتأخير . فمتى اللعب ان تقوم هذا الشعر في ضل قانون الوحدة .

لقد طرأ على شعر الهذليين ما طرأ على مورثنا الشعري من ضياع واختلاف في الرواية ، وتنفردلة لدينا تنتهي الى نتيجة ((ان ما بين ايدينا من شعر هذيل غير كامل))^(٢) وسيبقى ذلك معوزاً لاستكمال التصوير التحليلي لطبيعة العمل الفني في المداخل ، وان ما ضاع من الموروث الهذلي يغرينا بالقول انه يقدم اتجاهًا نفسياً لهذا الذي يقررها .

(١) ينظر ديوان ، زهير بن أبي سلمى (صفحة الثعلب) ق ٢ / ٣٨ ، ٥ / ٧٣ ، ٧ / ١٠١ ، ٩ / ١٢٧

(٢) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ٥٦٢

الدراسة الفنية

البناء الداخلي والأسلوب

ان استيعاب البنية النفسية للقصيدة يجعلنا مرتبطين بعصرية اللغة وصورة الاداء الشعري . لدى اسرار الشعر تكمن في العلاقات معهما في اعطاء الشعر ركيز عميق من اتصاله بجوهر الحقيقة ، فإن الشعر الجديد يستمد ابعاده من الرؤية الكلية للوجود ... فال الفكر خواصها وتكاملها وتفتحها على جوهر الوجود .

والشاعر حين يبدع قصيدة لابد ان يمون واقفاً تحت تأثير تقاليد تراثه الشعري ، كما انه يؤثر في التراث ويغير من نظرتنا اليه ، فالعلاقة بين الماضي والحاضر علاقة اتساق ، ولكي يأتي العمل متسقاً مع نظام التراث فإنه ينشد الجدة ولاجل ان يمنح الشاعر لشعره هذه الجدة لابد ان يخضع ذاته لتراثه ، وان يتذكر قصيده من خلال الحوار الخلاق مع هذا التراث . وقد تكون اللغة عنده (ليست^(١) وسيلة لسوتها ، بل هي غايتها التي يروم نقلها في الجمل والكلمات)

وقد تبدو ذات الشاعر في وجوه التعبير في القصيدة ، ولكنها ذات تخيلية قوامها من تفاعل الشاعر مع تقاليد تراثه . فهي اذن ذات بأن الشعر تعبير لغوي يؤول الى الشخص الشاعر ... والسائل التخييلي عنصر لابد منه في الادب للوقوف على معاالم التركيب اللغوي وما تؤول اليه من وحدة^(٢)

من هنا يكون العمل الادبي ((تركيب نسيجة من اللغة التخيلية التي يستخدما الشاعر في نطاق التقاليد الادبية))

في اطار تناولنا لشعر الهذللين سنحاول ان نصف عند الشاعر الهذلي وما استحدثه من خلال الجدل مع تقاليد تراثه ، والى اي مدى استطاع ان يثير مشاعره الانسانية وصور تفكيره المترسبة في العقل الجماعي . فالشعر استبطان للشعور الكوني والانساني عن طريق اللغة التي تحمل زخم التجربة البشرية ((اذ نرى القصائد تتعدد انعامها واساليبها ولغتها وتراكيبها وكما تتح مع معانيها وصورها وخيالاتها)) وبذلك تحققت الوحدة في هذا الشعر في مبناه ومعناه وفقاً لهذا الحكم .

(١) التركيب اللغوي للادب ، ٦٠

(٢) نفسه ، ٩١٢

المقدمات الغزلية

الطلل :

يتتصدر مقطع الطلل ببعض موضوعات الغزل في المقدمة الغزلية في القصيدة الهمزية ، ويبدو ان هذا المقطع قد سقط من بعض القصائد . فثمة قصائد جاهلية من شعر الهمزيين لم تصل اليها كاملة . اما تلك التي صلت اليها ، فإن هذا المقطع ظل يشغل مكاناً بارزاً في مقدمتها . وقد بالغت القصائد التي تصدرت به (١٩) قصيدة توزعت بين شاعر جاهلي ومخضرم اسلامي(١) ويلوح شعراً طبيعة الافتتاح بموضوعات المقدمة الغزلية في القصيدة الى المقدمات الجاهلية وتجربته وشخصيته الفنية والنفسية فجاءت صورتها ومكوناتها سريعة ومشتركة في معانيها الهمزة وطبيعة الاجواء النفسية . ولعل ابرز ما يمكن ملاحظته لهذه المقدمات انها كانت قصيرة بالنسبة لغرض القصيدة العام .

(١) يبين السرد الآتي للشعراء الهمزيين وعدد قصائدهم الاية افتتحت بالاطلال .

الإحالة	عدد القصائد	عصره	الشاعر
ينظر شرح اشعار الهمزيين / ٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٦٦	٢	جاهلي	المتخل
ينظر شرح اشعار الهمزيين / ٢١٤ ، ٧١٠/٢	٢	جاهلي	أبو قلابة
ينظر ديوان الهمزيين / ٤٤٤	١	جاهلي	مالك بن خالد الخنائي
ينظر ديوان الهمزيين / ٤٣	١	جاهلي	المعطل
ينظر شرح اشعار الهمزيين / ١٤٠ ، ٩٨	٣	مخضرم	أبو ذؤيب
ينظر شرح اشعار الهمزيين / ٥٣٢ ، ٤٨٧	٢	إسلامي	اميمة بن ابي عائد
ينظر شرح اشعار الهمزيين / ٩٥٣ ، ٩٥٠ ، ٩٢٤	٥	إسلامي	أبو صخر
ينظر شرح اشعار الهمزيين / ١١٥٧ ، ١٠٦٣ ، ١٠٥٣	٣	إسلامي	ملح

ام لوحه الطلل عن الشعرا المخضرمين من شعرا هذيل نجدها متباعدة في الطول و القصر بالنسبة لغرض التصيدة العام . فمن ثلاث قصائد افتتحت بالمقدمة الغزلية لابي ذؤيب نجدها تتراوح بين ٣ – ٩ ابيات ، كان الشاعر حريص على ان تكون لمقدمته الغزلية صلة كبيرة بأجزاء قصيده ، حيث كانت هذه المقدمة العنصر الذي يقود الى اجزائها الاخرى فهي ((
معبر الى الحب و الالمه مباشرة))^(١) واذا كانت مظاهر لوحه الطلل نتيجة وتفسيرها الى ترجيح الدوافع النفسية ، فأن ذكر الديار يأتي موازياً لمظاهر الحياة ، ينفتح الشاعر من خلالها على ماضيه المغاير لحاضره . فأبوا ذؤيب يتحدث عن الاثر النفسي لفقد سيد القبيلة بع ان يستوفي في المقدمة الغزلية وقفه بديار ام الرهين التي اقامات بين قصب وابتنت خيمة على ضفة النهر (الفرات) ... تتخير من لبن النياق اللواتي رعن الاراك في الbadie و الحضـر . فهو يولي اهمية خالصة في بناء المظهر النفسي للديار اكثر من اهتمامه بمكوناتها فتجمع اجزاء المقدمة ملامح هذا وذكر ايام صباح . ويشير الامدي الى هذه الصورة بقوله ((
انما وقفوا و عرجوا عليها عن الاجتياز بها ، والاقتراب منها ، لأنهم تذكروا عن مشارفها او او طاهم فيها فناز عتهم نفوسهم الى الوقوف عليها . والتلوم بها . ورأوا ان ذلك من كرم العهد وحسن الوفاء ... يرون الوقوف على الديار من الفتوة و المروءة و ان طيها عند الاجتياز بها من النذالة و قبح الرعاية وسوء العهد))^(٢) في صوء نص الاموي يمكن ان نعد مقدمة ابى ذؤيب نص العصبية القبلية . واعتزاز بالاهل وديارهم فأم الرهين امرأة غير اعتيادية كما يصورها الشاعر في قصيده .

(١) الغربة في الشعر الجاهلي ٢٤٩

(٢) الموازنة ، الامدي ١ / ١٢ - ١٣

لقد حرص الشاعر الهذلي على التجديد في النمط التقليدي مجدداً لنا صورة حية لبيئته فجاءت معالم الديار علامه مميزة تشير الى تفاؤل مثوب بالرجاء في القبيلة التي تعرضت لمكروه . كما ساعد ما في الديار بدوره على كشف الاحداث المسيطرة في القصيدة بعد ارتباط هذا الماضي بساكنيه وبحاضر القبيلة^(١) . ان الشاعر يرتبط بأن الرهين ارتبط الغزال المقدس بما لا فكاك منه حيث يقول :

كالظبي سيق لحبل الشّعر^(٢)

وأزعم أنّي وام الرهين

و يبقى الطلب عند ابى ذؤيب موحياً بالغرض فتاره مهتم بتصوير مكونات طله الموضوعية حيث يطوعها لخلق اجواء نفسية تتناسب وموضوع قصيده او اغراضه الاساسية فيعبر عن الحزن بمقدمته ثم ينتقل الى الرثاء والحرمان . وتظل مقاطع المقدمة تشتراك في التعبير عن العلاقة التي تربط اجزاء القصيدة في المنظر الطلالي لا يخرج عن دائرة حياة الشاعر ، مرتبطة بالزمان اي بين عنصرين اساسيين هما التجلّي والخفاء . فيهتم باثار الجمال (مباركتها) و يأخذ من النوى اجزائها الباقيه فهي ((تحمل ماضيهم الى هذا الحاضر وتبعته فيه)^(٣) .

(١) شرح اشعار الهذليين ، ابى سعيد السكري ، حققه عبد السنوار احمد فراج ، ٤١٢ / ٤١٣ –

(٢) نفسه ١١٤ / ٦٦ . وينظر الغزال عند العرب ١ / ٦٦ . صورة الغزالة التي ترعى ارض الاطلال .

(٣) تصور الغزال بين الجاهلية والاسلام ، ١٢٦

وفي بقایا الدار يتناول (خوض المقل) المصفرة ليقترب في هذا كله بالاحساس بالاشیاء و مهمتها في الحیاہ متقرباً من الطبیعة ذاتها ، متناولاً وجهاها السلبي و هو الذي يمثل الاحساس بالفقد و الحرمان . و يستمر الشاعر بعد ان تغزل بحبيته بوصف العسل و ما يلاقيه المشتار من مشقة في سبيل الحصول عليه و الذي يشبهه بريق المحبوبة يقول اليانا في نهاية القصيدة التي مازال حبها في قلبه لك ، لا يعلو عنها مثلاً لا تعلو ام عائل ، ثم يختتم هذا الوفاء في حبها لعودة القارضين او كلیب وائل ، ليدل لنا على شده التناهي في اختلافه يقول :

أَسَاءْلَتْ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تُسَائِلْ عَفَا فِي نَوْىِ الدَّارِ مَا أَنْ تُبَيِّنَهُ لِمَنْ طَلَّ الْمُنْتَحِى عَيْرُ حَائِلْ عَفَا بَعْدَ عَهْدَ الْحَيِّ مِنْهُمْ وَقَدْ	عَنْ السَّكَنِ أَوْ عَنْ عَهْدِهِ بِالْأَوَّلِ وَإِقْطَاعٌ طَغَى قَدْ عَفَتْ فِي الْمَعَاقِلِ عَفَا بَعْدَ عَهْدٍ مِنْ قِطَارٍ وَإِلِّي بَرَّيْ بِهِ عَسْفُ آثَارِ وَمَبْرُكْ جَامِلَ ^(١)
---	---

ويظل ذكر الامطار ويصحبها من رياح سمة تشير الى قدم الطل و تجلب الوحشة لهذه الديار ولكن المطر يأتي موازياً لمظاهر حياتية فتجده مصحوباً بالرجاء لعودة ماض يحن اليه الشاعر ، فكانت دعوات الشعراء بالسقيا لاطلالهم او كثرة تتبعها و هذه المعالجة تلتقي كثيراً مع بنية القصيدة العربية الموروثة فالماضي تكررت عند الشعراء الجاهليين^(٢) .

(١) شرح اشعار الهمذيين ، ابی سعید السکري ، حققه عبد السatar احمد فراج ، ١٤٠ / ١

(٢) ينظر دالية النابغة ، دیوانه ٧٩ . دالية طرفة ، دیوانه ٥ – ١٠ . ميمية زهير ، دیوانه ، ٢٠٦ – ٢٠٩

ان طبيعة المقدمة الطللية عند الجاهليين و المخضرمين من هذيل جئت تحمل معها دلالاتها ، اذ كانت طبيعة المقدمة الطللية عند ابي ذؤيب اقل احكاماً و اسهماً من اصحاب المعلقات فانها موحية بالغرض و تؤكد التفاعل الفني عند الهمذلين .

لوحة المرأة

استو عبت لوحات الافتتاح صورة المرأة و قد طرح لنا المورث الجاهلي صيغ تكررها في لوحة الطلل و النسب و الضعن و الطيف ، كما طرحته لنا شعراء الجاهلية نماذج انفردت فيه المرأة في عدد غير قليل ((فأكدوا بذلك ان صوره المرأة قادرة ان تشكل بذاتها افتتاحاً مقنعاً لتجاربهم الشعرية)) و لقد ظلتش لك مكونات لوجه المرأة تشكل عنصراً فنياً يؤدي مهمته منفرداً^(١) ، او ضمن لوحات الافتتاح الاخرى ، فالمرأة عالم يتغرون في وصفه ، تمنحهم قدرة الفعل والانفعال حاضرة ام بائنة .

(١) مدخل الى بنية القصيدة العربية قبل الاسلام ، ٨٥

لقد شكلت لوحة النسب في شعر الهدلبيين حضوراً واسعاً قياساً باللوحات الأخرى فبين أيدينا (٢٢) لوحة لصورة المرأة تشير إلى دلالاتها الرمزية^(١) فالشاعر يهئ لوحة الافتتاح لتؤدي بتشكيلها الفني غرضاً نفسيأً ليميل نحوه القلوب و يصرف اليه الوجه ، وليستدعي به اصحاب السامعين إليه ، لأن التشبيب قريب من النقوس ، لأبلا بالقلوب^(٢) وقد اشار ابن رشيق إلى الباعث النفسي في تعدد صورة المرأة بقوله ((وللشعراء اسماء تحف على السننهم ، وتحلو في افواههم ، فهم كثيراً ما يأتون به زوراً))^(٣)

(١) السرد الآتي يبين لوحة النسب في شعرهم .

الإحالة	عدد اللوحات	عصره	الشاعر
شرح اشعار الهدلبيين ، أبي سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، ٢٥٤ / ١	١	جاهلي	صخر الفي
نفسه ٤٦٣ / ١	١	جاهلي	مالك بن خالد الخنابي
نفسه ٦٣٤ / ٢	١	جاهلي	المعطل
نفسه ١٠٩٧ ، ١١٧٢ / ٣	٢	جاهلي	ساعدة بن جويدة
نفسه ١٧١ ، ٨٨ ، ٧٠ ، ٤٢ / ١	٦	مخضرم	أبو ذؤيب
نفسه ٢٠٥ ، ١٨٣			
نفسه ١٠٥٧ / ٣	١	إسلامي	أبو صخر
نفسه ٩٤٥ ، ٩٣٤ / ٤	١	إسلامي	مليح
نفسه ٥٢٤ / ٢	١	إسلامي	أميمة بن أبي عائد
نفسه ٥٢٤ / ٢	١	إسلامي	إيس بن سهم
نفسه ٥٤٢ ، ٥٤٠ / ٢	٢	إسلامي	عمرو ذو الكلب
نفسه ٦١١ / ٢	١	؟	الداخل بن حزام
نفسه ٧٤٨ / ٢	١	إسلامي	البريق
نفسه ٨٩٧ / ٢	١	إسلامي	أبو الحنان
نفسه ٩٠٩ / ٢	١	إسلامي	عبد الله بن مسلم
نفسه ٥٧٣ / ٢	١	؟	ابن ترنا

(٢) الشعر والشعراء ، ابن رشيق ١٠ / ٧٥

(٣) نفسه ١٢١ / ٢

اما المحدثون فما وعدهم الى القسیر الرمزي فأخذها بعضهم الى التفسیر الوجودي^(١) وعدها اخر رمزاً للحياة^(٢) وبعضهم منح امرأة دلالة واقعية موضوعية^(٣) وعلى الرغم من جدة وطراقة محاولات المحدثين^(٤) التي تسعى الى تجزئة القصيدة الشعرية المتكاملة ، فإن هذه المحاولات تفسر استقلالية بعض الاغراض دون ان يكون ثمة رابط بعضها ببعض ، او بينها وبين الموضوع الاصلي للقصيدة ، فتظل لوحة الغزل تبعاً لذلك ، ويظل غيرها من الاغراض تميزة عن الاغراض الاخرى .

ان الشاعر حين يهيء للوحة النسب تجاربه ومعاناته الشخصية ، ويوفر لها المناخ المناسب فلأنها كانت باعثاً للكشف عن قدراته الابداعية وهي تجعله ((امام تجربة اكثراً اجتهاداً ولكنها اقدر على توفير عناصر الایحاء المطلوب))^(٥)

(١) ينظر مقدمة القصيدة العربية ٢١٦ ، ٢٢٠ (بحث)

(٢) ينظر الشعر العربي حتى اخر القرن الثالث الهجري ١٠٠ ، قراءة ثانية لشعرنا القديم ١٤٥ – ١٥٠ . المرثاة الغزليتك ٥ – ١٠ . دراستا الدكتور عادل البياتي (رمز المرأة في ادب ایام العرب) و (تراث الحب في الادب العربي قبل الاسلام) . دراسة الدكتور محمود الجادر (حول مدلولات رموز المرأة في مقدمة القصيدة العربية) . الصورة في الشعر العربي ٥٣ – ١٢٠

(٣) ينظر الفزل عند العرب ٩ – ١٢ . الغزل في العصر الجاهلي ، الفصل الخامس ، المرأة في الشعر الجاهلي (الهاشمي) ٨٨ – ١٨٥ . معلمات العرب ٢١٣ – ٢١٨ . الشعر الجاهلي

(٤) ينظر تاريخ الشعر العربي ١٠٠ وما بعدها . حيث اشار الدكتور البهيتى الى ان اعلاماً نسائياً معينة تتر في شعر مجموعة من شعراء القبائل مثل اسماء في شعر بكر بن وائل ، ومنهم الحارث بن حمزة ، والمرتشى ، ولاحظ ان اسم هند يرد في الشعر الذي يتصل بالمناذرة .

(٥) مدخل الى بنية القصيدة ٦٥

لقد وفرت القصيدة الهذلية في بنياتها الفنية من خلال مكونات نماذج لوحة النسي استقراراً فنياً ، وتكرر في نماذجها في التركيز على اثر العلاقة النفسية في تطوير تجربة الشاعر لموضوعه ، فالبنية النفسية لقطع النسب في قصيدة الافتتاح لبواعت نفسية ، فالمطلع يؤثر ملامح ايها الحدث الذي سقط من القصيدة حين مصد للافتتاح عليه بذكر ابعد (ظمياء) التي نأت عنه فعل يهوي الاسس النفسية لاحتواء عناصر نلامح الحدث ودلائلها الموضوعية ، بدأ بذكر مواضعها الجديدة ، ثم عم الى تفريع معاناته الشعرية وازمته النفسية حين اشار الى دخول الشعر الحرام ، او خروج اهل تعامه للحج وخلوها . اذ ان ذلك امنى له عقد زياراتها ... وبهذا يهوي الشاعر لاستقبال ملامح التجربة الموضوعية للحدث ومن ثم نموها ورفد نمط معالجتها الذي لم يصل ألينا كاملاً^(١) . ان الوجه الفني لبنية النسب ينطلق من التوتر المفاجئ الذي تضمنته صورة المعاناة الموجزة الى اللقاء ، الذي استو عب المعاناة ثم التدفق العاطفي والتشعب في تفاصيل تجربة الشاعر (الحببية ، الطبية ، والقسم بالنونق ، والبرق ، والسدر ، والاثل ، و المكان)^(٢) التي انفتحت بعد ذلك الى وصف جمال الحببية واشتياق العسل^(٣) ل تستو عب بعد ذلك مستلزمات بنية الحدث ، حيث يتخلص الشاعر الى تجربة الحرب^(٤) التي تؤمي بالحركة والحيوية ، تقارب قبيلة الشاعر ، وبذلك تكتسب لوحة النسب عناصرها الفنية و النفسية المطلوبة في نمط المعالجة .

(١) ينظر شرح اشعار الهذللين ٢ / ٦٣٥ الابيات ٤ - ٧

(٢) ينظر شرح اشعار الهذللين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، ١٠٩٧ / ٣ القصيدة ٤ - ٢٠

(٣) ينظر الابيات نفسها القصيدة ٢١ - ٣٩

(٤) ينظر الابيات نفسها ، القصيدة : ٤٠ - ٦٣

يقدم لنا شعر أبي ذؤيب ست لوحات افتتحت بالنسب^(١) تكاد روافدها لا تختلف عن إطارها العام ، لكنها تقدم صوراً فنية متعددة يعني النمط الشعري ، وبيني الجو النفسي لهذه اللوحات ، ان المرأة لا تحتل منزلة مهمة في نفس الشاعر ، فالحب وسيلة لا غاية ، فهو مشغول بها يسرع بنا نحو المباشرة بالغرض ولكن لا مناص من ان يمهد لقصيدته :

فَقُلْتُ بِلَى لَوْلَا يُنَازِّعِنِي شُغْلِي
وَمَا إِنْ جَزَاكَ الْضُّعْفُ مِنْ أَحَدٍ قَبْلَي^(٢)

أَلَا زَعَمْتُ أَسْمَاءً إِنْ لَا أَحِبُّهَا
جَزَيْتِكَ ضُعْفَ الْوَدِ لَمَّا اشْتَكَيْتَهُ

بهذه الصورة الموجزة التي لا نجد فيها حرارة الوجد ينصرف الشاعر بسرعة الى تشبيه الحبيبة بالظبية^(٣) ثم يخلص الى تغيير لونه الذي كان باعثاً في انكارها له فيتناول موضوعه ... وبذلك تمنحه نمطية لوحة النسب صوراً مختلفة تشارك في عملية الخلق الفني للنص فيستشعرها ليؤكد ان المنون تبلينا وما نبليها ، ولا ينفلت منها احد ، ثم يستلهم من عذوبة الخمرة التي تحملها الناقة منه اذ رعات ليشتري بائعها بثمنها العسل طيب فم محبوبته^(٤) .

(١) ينظر السرد السابق وقد وردت للشاعر ثلات قطع صغيرة مبدوعة بلوحة النسب ، شرح اشعار الهذللين ، أبي سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، ١٧١ ، ١٨٣ ، ٢٠٥

(٢) شرح اشعار الهذللين ، أبي سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، ٨٨ / ١

(٣) ينظر شرح اشعار الهذللين ، أبي سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، ٨٨ / ١ ، ٨٨ / ٤ ، ابيات القصيدة ٤ - ٨

(٤) نفسه ، الابيات ١٦ - ٢٠

ان الشاعر الهذلي كشف لنا من خلا لوحة النسب عن الحالة النفسية ومدى اثرها على سياق التجربة الشعرية وتطورها في استيعاب موضوعها ، يقول ابي ذؤيب :

ذَهَبَ الشَّبَابُ وَ حُبُّهَا لَا يَدْهَبُ ^(١)	يَا بَنَتْ دَهْمَاءِ الَّذِي اِنْتَجَبَ
أَصْدُّ عَنْكِ وَأَنْتَ مِنِّي أَقْرَبُ	مَالِي أَخْنُ إِذَا جَمَالُكِ قَرَبَثُ
لِمُكَلَّفِ أُمٌّ هَلْ لِوَدْكَ مَطْلَبٌ	لِلَّهِ دَرَكُ امْ لَدَيْكِ مَعْوَلٌ

فالشاعر مه بذكر (بيت دهماء) الذي حاول ان يتتجنبه بعدم زيارتها ، الا ان حبها باق على حاله بعد ما ذهب شبابه ، فجعل يهوى الاسس النفسية لاستيعاب عنصر الحدث الموضوعي ، وكشف عن خيرته وقلقه بع ان اعيته السب وصالها ، فأفرغ معاناته الشعرية و النفسية التي وجدت لها متنفساً من شجو الحمامنة الذي اهاجه على حين غرة ، فهملت لوحة النسب على تهيئة الفرص للغرض الذي اراد الشاعر توكيده من خلالها الا وهو حب (دهماء) الاقوى من كل شيء فكانت الارض التي تخلها هي الارض الحبية الى قلبه ، و الرياح التي تهب من صوبها و العدافي احبها كل ذلك . نرى شاعرنا يتعلق به ليؤكد حبه لها .

(١) شراح اشعار الهذليين : ٢٠٥ ، وقد وفر لنا الجرد الاحصائي لشعر الهذليين (٢٥) خمسة وعشرين افتتاحاً بمقاطع المرأة . ينظر ٤٢ / ١ ، ٧٠ / ٣ ، ٩٣٤ ، ٩٠٩ ، ٨٩٧ ، ٦٣٤ ، ٧٤٨ ، ٥٣٧ ، ٥٦٥ ، ٥٤٢ ، ٥٤٠ ، ٥٢٤ / ٢ ، ٤٦٣ ، ٢٥٤ ، ٢٠٥ ، ١٨٣ ، ١٧١ ، ٨٨ ، ٧٠ ، ١١٧٢ ، ١١٤٢ ، ١٠٥٧ وهي نسبة ما يقارب (٢٧٪) من مجموع قصائدهم الشعرية .

لوحة الظعن

يشير ابن قتيبة ان مقطع الظعن يمثل حلقة بين بكاء الشاعر الطلل الذي يذكره بماضي صاحبته واهلها وديارهم ، وبين رحيل صاحبته او صف لحظات الوداع وما تثيره من عواطف تجاه صاحبته^(١) ولم تكشف اشارات النقاد القدماء عن مضمون هذا المقطع ونشأته فقد مان شكلاً من الاشكال الاساسية للمقدمات في الجاهلية التي تحولت الى اتجاه فرعى عند الشعراء المخضرمين^(٢) كما انه ((ليس من اليسر ان نسمى اول من وصف هذه الرحبة ، ونحد اولئك الذين ورثوا هذا التقليد الفني وتعهد بالرعاية والتأصيل))^(٣)

وتغيب لوحة الرحلة في شعر ابي ذؤيب ((فالعلاقة بين الناقة و الصحراء علاقة تابع بمتبوع ، فإذا غاب المتبوع غاب التابع))^(٤) ولم نظر ان يصبر مع بقية اجزاء الافتتاح عن التجربة ، وقد ورد احدها في بناء القصيدة متصدراً النسب وتابعاً^(٥) .

غير ان رحلة ابي ذؤيب وهي تختفي بمكوناتها البدوية وبنيتها الفنية^(٦) ما زالت تقليدية يشارك فيها الشعراء الجاهلين في المعاني العامة ، من هنا نم الرحلة عنده تستجيب لتجربة النفسية ومعاناتها في تجربة الفراق عن تفاصيل احداث القصيدة الاخرى ، ولاسيما عندما يصف صبره عندما يفرح الشامتين بما اصابه من حزن بعد وفاة (نشيبة) .

وكانـت هذه اللوحة اكثـر احتواء لمعانـاة الشاعـر حتى غدت ظاهرـة فنيـة تقترب من حـيـاة الشاعـر الـبدـويـة ، فالـشـاعـر يـعتمد إلـى وـصـفـهـ الـهـوـادـجـ وـسـيرـهـ وـلـونـهـ ، وـصـفـاـ دـقـيقـاـ ، وـوقـتـ الرـحـيلـ وـاثـرـهـ عـلـيـهـ ثـمـ يـصـفـ النـسـاءـ وـاحـادـيـثـهـنـ وـهـنـ عـلـىـ الـهـوـادـجـ^(٧) وـتـنـكـشـفـ لـنـاـ لـوـحةـ الـظـعنـ عـنـ الشـعـرـاءـ الـجـاهـلـينـ مـعـانـاتـهـمـ الـنـفـسـيـةـ الـتـيـ اـسـهـمـتـ فـيـ تـنـامـيـ الـحـدـثـ المـوـضـوـعـيـ وـرـفـدـتـ تـجـارـبـهـمـ الـشـعـرـيـةـ .

(١) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء / ١ - ٧٤ - ٧٥

(٢) ينظر مقدمة القصيدة في العصر الاموي ٧٧

(٣) الرحلة في القصيدة الجاهلية ٢١

(٤) الواقع والاسطورة ٤٨

(٥) شرح اشعار الهدللين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد السنوار احمد فراج ، ١٢٨ / ١

(٦) ينظر وقوفه السريع عن حول المحبوبة في قصيدة اخرى ، وهو يشير تلك الحمول بالنخيل ، شرح اشعار الهدللين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد السنوار احمد فراج ، ١٦٤ / ١

(٧) ينظر الرحلة في القصيدة الجاهلية ، وهب رمية : ٢٢

لوحة المرأة العاذلة

تبني التفاصيل في ضوء تجربة الشاعر . فأبو ذؤيب بعد فقد اولاده لتوجعه الذي يشكل منفذًا فنياً يكشف عن صراعه النفسي المؤلم ... فتهيئ طبيعة الحوار معالجة الموضوع واستيعاب الحدث ونموه الذي يدور حول الدهر والموت بلوحات اربع . واذا كان الشاعر يعتمد على اسقاط همومه على رمز الهاذلة الهمذلية التي تمثل صوتاً اخر يجرده الشاعر من نفسه . لانه غير موحد الشخصية ، فإنه يكشف في هذا المقطع عن نزاع نفسي حا يلجا فيه الشاعر الى رمز المرأة ليأخذ الحدث ابعاده الموضوعية المهيأة في وعي الشاعر (فالتجريد الواعي لحقيقة النفس من خلال الاستحلال الواقعي لها ، يوحي بما لا يقبل الشك بما تحمله هذه النفس من خصائص)^(١)

يهيئ ابو ذؤيب في حوار عاذلته مدخلاً فنياً ملائماً يستحب في واقعه ويعبّر من خلالها على حالته ومرارة الألم و حسه الداعي يغمره حزن عميق ، حيث قال :

وَالَّدَهْرُ لَيْسْتُ مَعْتَبٌ مِّنْ يُجَرِّعُ^(٢)
مُنْذُ إِبْتَدَأَتْ عَلِيمٌ ذَاكَ الْمَنْجَعِ
إِلَّا أَفْضَى عَلَيْكَ ذَاكَ الْمَنْجَعِ
أَوْدَى بِنِي مِنْ الْبِلَادِ وَوَدَعْوَا

أَمْنُ الْمَنْوَنَ وَرَيْبُهَا تَتَوَجَّعُ
قَالَتْ أَمِيمَةٌ مَا لِحِسْنِكَ شَاحِبًا
أَمْ مَا لِجَنْبِكَ لَا يُلَائِمُ مَضْجَعًا
فَأَجَبَتْهَا إِنْ مَا لِحِسْنِي أَنَّهُ

فالشاعر ييرز حزنه من خلال طرح اللائمة التي ترى في ماله الذي يوفر له حياة افرى هو طرح واقعياً فق وجد فيه خير مخرج من الاحزان التي تنتابه ، فالمال يمثل قوة الحياة في مقابلتها للموت ((الا ان الشاعر قد نسب هذا الطرح الواقعي الى زوجته ونقل الصراع من داخله الى صراع بينه وبين اميماً ، وهذا يمثل سمة كبرى في القصائد العربية وهي ان الصراع الداخلي كثيراً ما يأخذ شكلاً خارجياً))^(٣)

(١) لمحات من الشعر القصصي في الأدب العربي ٣٥

(٢) شرح اشعار الهمذلتين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، ٤ / ١ ، منذ ابتدلت تركت من تزين

(٣) الهاذلة في الشعر الجاهلي (بحث) ص ٥٣

استهل بعض الشعراء قصائدهم بحوار المرأة اللائمة متذين منها انماطاً متعددة تفرز بنية القصيدة ، فهي ((بنية تختلف عن بنية القصيدة العربية في النظرة التقليدية ، فالقصيدة التي تبدأ بالهائلة تمثل وحدة موضوعية متماسكة))^(١) وقد استعراض ، الشعراء الفرسان والاجواد بالمرأة الهائلة ليفتتحوا بها اغلب قصائدهم . وذاك ان المرأة اللائمة او العائلة هي الصفة الاكثر ملائمة لقصائدهم ، والاكثر قدرة على تهيئة ارضية نفسية منفتحة لقبول ما يريدون طرحه من قيم البطولة والكرم فضلاً عن كون المرأة النقيض لما امن به الشعراء الفرسان والاجواد لما في طبيعتها ، لما فيها من حرص على مستقبل الاسرة وأمنها^(٢) .

لوحة الطيف :

ظلت صورة المرأة تتوزع لوحات الافتتاح ، يتغنى الشعراء في وصفها ، ويلتقي بها بعضهم في عالم الوهم ليعبر عن حالة نفسية خاصة يتوهם من خلالها تحقيق ما لا يمكن تحقيقه في الواقع فيفصح عن رغباته المكبوتة ليفرغها ، عن طريق تشخيصه لصورة الطيف ((فالخيال يشبه ان يكون مستودعاً تستمد منه قوى النفس مادتها الاولية))^(٣) ليخفف الشاعر عن نفسه ألم الفراق ، ويعرض عن مشاعر الحرمان او يخفف شدة الوج ((فما زالت الشعراء وفي القديم و الحديث تصف الطيف بأنه طمع كاذب وطن باط ، وظل زائل ، ويتصرفون في ذلك احسن تصرف ، ويقلبون املح تقلب))^(٤)

(١) الهائلة في الشعر العربي ، د.ابراهيم موسى السنجلاوي (بحث) ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية (العدد ٢٨) ، المجلد الرابع ١٩٩٧ : ٥٦

(٢) دراسات في الشعر العربي القديم : ٨٨

(٣) الخيال في مذهب محي الدين بن عربي ، ٧

(٤) طيف الخيال ١٠٩

فقد حفلت لوحة لابي ذؤيب الهذلي في افتتاح احد نماذجه التي يمدح فيها عبد الله بن الزبير بتصوير احساسه النفسي ، فالشاعر يستخدم خياله الفني ليخلق صورة المرأة التي فرح الطيف قلبه^(١) اذكرها و كان الشاعر يغبط قلبه اذا رجع صحيحاً ، يقول ابو ذؤيب :

أَمْنٌ أَمْ سُفِيَّانُ سِوَى	آلِي فَهِيجْ قَلْبًا قَرِيحاً ^(٢)
عَصَانِي الْفُوَادُ فَأَسْلَمْتُهُ وَلَمْ	أَدْرِكْ مِمَّا غِنَاهُ صَرِيحاً
وَقَدْ كُنْتُ أَغْبِطُهُ إِنْ بَرِيقٌ مِ	نَخْمُهُنَّ سَلِيمًا صَحِيحاً
كَمَا تَغْبِطُ الْأَنْفَ الْمُسْتَبِدُ	بَأْزَءِ تَوْبَهُ مُسْتَرِيحاً

ثم ينفتح الشاعر على الطبيعة ويودعها ملامح تجربته الشعرية فهو يحاول رسم صورة ممدوحة من خلال ما يصنعه المطر ((فما صنعه الناس جزء مما تصنعه الرياح والبرق والسحب والمطر ، وكان النبيل اذا اراد ان يتعلم وجب عليه ان يأخذ علمه من المصدر الاول الذي يعطي لان من طبعه العطاء))^(٣) وبعد ان يشعر شاعرنا ابو ذؤيب بأنه قد استوفى في لوحته الرموز المهيئه للحدث الموضوعي ومهد لنموه ، يتناول غرضه الرئيس وهو مدح عبد الله بن الزبير وبيان خصاله الكريمة .

(١) يترد القلب ، مصدر الحب عند ابى ذؤيب كثيراً في شعره ١ / ٧١ ، ٧٢ ، ١٣٩ ، ١٤٥

(٢) شرح اشعار الهذليين ، ابى سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، ١٩٦ / ١

(٣) قراءة ثانية لشعرنا القديم ١٣١

لوحة الشكوى (صورة الليل)

ومن بين الحصيلة التراثية لشعر هذى نجد لوحة الافتتاح بوصف الليل ، الذي توحى صورته بالحزن و القلق وبعث الهموم ، فقد اشترك ساعدة بن جؤيدة^(١) ، وابو ذؤيب^(٢) ، وعب الله بن ابى ثعلب^(٣) في مواجهة ظروفهم النفسية ، فتدفقت في هذا الافتتاح همومهم التي شكلت اجزاء من لوحة الغرض الموضوعية ، لتوافق المناخ النفسي لقصائد الرثاء^(٤) ، فيرمز الليل الى معاناة ومعاودة الهموم التي تأتي ساعدة بن جؤيدة فكان فوي صورة دوي عبر الاوتار رنة مما يحدث به نفسه من هموم ، فليله الطويل الذي لا ينفذ يثير شجنه .

و اذا كان الطابع الحزين لصورة الليل يواافق مناخ الشاعر النفسي في قصيدة الرثاء ، فإن هموم ابى ذؤيب تعبر عنها مفردة (الصاب) القادره على فعل الألم المؤثر في عينيه فتظلان في أرق مؤلم تعاوده الذكرى فتثير فيه الألم و الحرقة حيث يقول :

كَانَ عَيْنِي فِيهَا الصَّابَ مَذْبُوحٌ ^(٥)	نَامَ الْخَلِيلَ وَبَتَ اللَّيْلَ مُشْتَجِراً
وَأَفْرِذَ ظَهْرَيِ الْأَغْلَبِ السَّيْحَ	لَمَّا ذَكَرْنَ أَخَا الْفَهْمِيِ نَاوِبَنِي هِيَ
وَزَالَ عَنْدِي لَهُ ذِكْرَى وَتَرْبِيعٌ	جُودًا فَوَاللَّهِ كَمَا أَبْدَأْ

استوعبت لوحة الافتتاح حالة الشاعر وحيرته وخذلانه فأخذ يتذكر المكان الذي قتل فيه صديقه ويتعامل معه تعامل ينطلق من عمق الصلة التي يثيرها هذا المكان وما يحمله من ذكرى مؤلمة تثير شجنه ، فليس ثمة مت نفس غير الدموع التي تخفف المعاناة .

(١) ينظر شرح اشعار الهدلبيين ، ابى سعيد السكري ، حققه عبد السنوار احمد فراج ، ١١٦٥ / ٣

(٢) نفسه ١ / ١٢٠

(٣) نفسه ٢ / ٨٨٥

(٤) ينظر دواوين : المهلل ٢٣٧ ، ٢٥١ ، امرؤ القيس ١٨٥ ، ديوان عدي بن زيد ٣٣ ، ٥٩ ، ٦٣ ، النابغة الذبياني ٤٠ ، ديوان الاسود بن يعفرة ٢٥ / ٥٦

(٥) شرح اشعار الهدلبيين ، ابى سعيد السكري ، حققه عبد السنوار احمد فراج ، ١ / ١٢٠

لوحة الحكمة :

يطرح الموروث القديم افتتاحات حكيمة تقدم مدلولاً ادائياً ، وتعبر عن موقف فكري واخلاقي ((فالشاعر لا يعني بتسجيل وقائع ألهام المحيط به ، وعرضها وتحليلها الا من خلال معاناة ذاتية تمتزج فيها الحدث بالاحساس و الواقع بالاستشراف))^(١)

ويمنح مقطع الحكمة في القصيدة قدرة تأثيرية على توفير الاجواء الرئيسة لتشكل منطلاً نفسياً يهدي للتجربة الموضوعية ، اذا ليس من عادة الشعراء ان يقدموا لمراثيم ، وتکاد مقاطع الحكمة التي حملها علينا موروث هذيل الشعري تنتفتح بمجملها على لوحة غرض الرثاء^(٢) وحين ترتبط الحكمة بهذا الغرض وتعغل عليها ((مسحة من الحزن والعاطفة التي يشيع فيها الالم و الحسرة و التشاوم))^(٣) وتكشف لنا عن الاقرار باحتمالية الموت ، يستوحىها الشعراء من اجواء الحدث بأسلوب تقريري تعبر عن ((حقائق مجردة في متناول الفطرة السليمة تملّيها التجربة و المشاهدة بأسلوب تقريري تعبر عن ((حقائق مجردة في متناول الفطرة السليمة تملّيها التجربة و المشاهدة وفق مثالمهم العليا السائدة في اصرهم وكانت افكارهم صدى لهذه التأملات و المشاهدات))^(٤) وتشك مدار القصيدة كلها ، فهي اعتبر عن وعيهم الفكري المتمثل بتجاربهم ونظراتهم للحياة ((وكانت حكمتهم تصرفات اقلية تعرض لهم وهم يؤدون عباراتهم فيسعنونها شرعاً))^(٥) وقد قال المبر عن ابي خراش ((وهو احد حكماء العرب))^(٦) ويطرد الشعر الحكمي في مصائد الرثاء عندهم لتدور حول القدر.

(١) شعر اوس ورواته الجاهليين ٤٠٤

(٢) ينظر شرح اشعار الهمذانيين ، ابى سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، ١ / ٧٠ ، ٤٣٩ ، ٢٠١٩ ، ١٧٤ ، ١٠٤ ، ٧٠ / ٢ ، ٤٣٥ ، ٦٨٠ ، ١٢٤٤ / ٣ ، (وق سقط منه الموضوع)

(٣) الشعر الجاهلي و خصائصه وفنونه ٣٠٠

(٤) نفسه ، ٢٨٧

(٥) شعر الهمذانيين ٢٨١

(٦) الكامل المبرد ٤ / ١٧

وقد اجمع الاقمون ان ابرع بيت قالته العرب قول ابي ذؤيب

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْ
وَإِذَا تَرْدُدَ إِلَى قَلِيلٍ ثُقِّنَتْ^(١)

لقد تبأّت صورة المرأة هذه الافتتاحية موضوعها لتحمل معاناة الشاعر النفسية و تؤدي مهمتها التأثيرية ، وتمهد الحكمه وتهيئ لانسيا بها الفنى ، ففي احدى قصائده التي يفتحها بالحكمة يمتد الشاعر لرثاء نشيبة بن محرث بالغزل بأم عمرو^(٢) الذي عن عاطفة الحزن ((
فغز الراثي ليست الارثاء للحب الماضي وذكرياته الأليمة))^(٣). يسهب ابو ذؤيب في صفات الظبية التي لم تكن اجمل من محبوبته ، ويتأدى من ذلك الى وصف الخمرة بمكانته ومكانة قبيلته ، ليصل لنا الى الغرض الاساسي ، وهو الرثاء فحين ذكر جمال حبيبته وحبه لها يزيد ان يؤكّد عدم اهتمامه بها ان تركته ، ذلك لأن مصيبيته بالمرثي اجل واعظم ، وبذلك يكون الافتتاح الحكمي باعثاً لتنوع الاغراض ، ووسيلة لتصوير همومنه ويقرر من خلاله الشاعر يعمد الى الدهر ليسقى منه دلالاته الحكيمه وقرر من خلاله موقفه من الموت مستخلصاً العبرة فيستوعب عنده دلالاته الزمنية بقوله :

هَلْ الدَّهْرُ أَلَا لَيْلَةٌ وَنَهَارُهَا
وَأَلَا طُلُوعُ الشَّمْسِ ثُمَّ غُبَارُهَا^(٤)
أَبَى الْقَلْبُ أَلَا أَمْ عَمْرٍ وَأَصْبَخْ
ثُرْقُ نَارِي بِالشَّكَاهَةِ وَنَارُهَا

(١) شرح اشعار الهدلبيين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد السنوار احمد فراج ، ١١ / ١

(٢) في موروثنا الشعري استخلصت بعض قصائد الرثاء بالغزل ، ينظر دواوين ، دريد بن بصمة ٤٥ ، المرقت الاكبر

(٣) الرثاء في الشعر الجاهلي ٢٠٥

(٤) شرح اشعار الهدلبيين ، ابي سعيد السكري ، حققه عبد السنوار احمد فراج ،

في الافتتاحيات الأخرى

المطر

ليس ثمة رأي قد يشير إلى الافتتاح بوميض البرق والمطر والسحب في موروثنا العربي القديم الذي يشكل حضوراً محدوداً^(١) غير أننا نج من المحدثين من يكاد يقطع بأن ذلك نمط مارسه الجاهلون قبل أوس وبعده^(٢) ، فأبى ذؤيب المورث الشعري الهذلي بعض الافتتاحات بالبرق^(٣) ، فأبوا ذؤيب يفتح احدى قصائده بهذه اللوحة قائلاً :

فَبَتْ أَخَالُهُ دَهْمَا خَلَاجَا ^(٤)	أَمْنُكَ الْبُرْقِ أَوْمَضَ ثُمَّ هَاجَا
ثَلَاثًا مَا أَبَيْنَ لَهُ إِنْفِرَاجًا	ثُكَلْ فِي الضَّمَادِ فَأَرْضَ لَيْنَى
كَانَ عَلَى نَوَاحِي الْأَرْضِ سَاجَا	فَمَا أَضْحَى انْقِلَاعَ الْمَاءِ حَتَّى

إذا كانت هذه اللوحة التي سقط موضوع القصيدة عنها تكشف عن مظاهر الخصب والفيض ، فمرداتها تنقلنا إلى جو بهيج فرح ينفتح على صور الطبيعة فتشبه الشاعر صوت الرعد يحنن هذه الأبل^(٥) ويهيج ايماض البرق مشاعره حيث ينقطع انصباب الماء ، كأن الأرض ألبست خضرتها طيلهاانا ، كأن ذلك دواعي واصداء تردد في نفس الشاعر .

(١) ينظر افتتاح البرق في دواوين الاخوة الاورى ٩ ، امرؤ القيس ٧ ، عدي بن زيد ٣٧ ، عبيد بن الابرب ٦٣ ، ولم يشر د.مصطفى ناصف في قراءة ثانية لشعرنا القديم ١١٤ ، ١٢٥ – ١٢٨ إلى موقع المطر الفني في القصيدة الجاهلية .

(٣) ينظر شرح اشعار الهذليين ، أبي سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، ١ / ٢٩٤ ، ١٧٧ ، ٣ / ١٠٥٠ . والاصابة في تمييز الهمسابة ١ / ١٢١

(٤) شرح اشعار الهذليين ، أبي سعيد السكري ، حققه عبد الستار احمد فراج ، ١ / ١٧٧ – ١٧٨

(٥) هذه الصور متداولة في المورث الشعري ، ينظر ديوان حسان ٢٧٩

<< الخاتمة >>

في نهاية المطاف لا يسعني الا ان احمد الله العلي القدير الذي وفقي لاتمام هذا العمل الذي يدحر في عمق الادب العربي وقد سررت كثيرا حين اقترح علي استادي المشرف هذا العنوان لاني تناولت ولو شيئا يسيرا من حياة شاعر مخضرم عاش الجاهلية والاسلام وتتناوله المرأة في الاغراض الشعرية والبناء الفني لشعره وما كانت تمثله المرأة في شعره وتتناولها في رمز متعدد وصف الحبيبه فيها احسن وصف واسطوريه المرأة في مجتمعه وما تمثله من مكازة ترتبط ارتباط وثيقا بحياتهم

- كانت موقف ابوذويب من المرأة كشريكه حياة وحبيبه يختلف من مرأة الى اخرى حيث كان كثير العلاقات العاطفية وقد تناولها في شعره بصور مختلفه من خلال الهاء والوصف والغزل من خلال الوقوف على الطلل ووصف محسنها رسم بها محبوباته بصور جميله

- كانت الحبيبه تمثل رمزا واسطورة لدى الاهلين ولاسيما شاعرنا فجاء نصيب الحبيبه في شعره كثيرا وكان للجمال الانثوي اثر بالغ في نفسه مفصل القول في مفاتتها واجزا جسمها والعيون الواسعة وتشبيهها بعيون المها والغزلان وقد تناول المرأة بوصفها اسطورة تتحكم بمضاهر الخصب والنماء ومسئوليتها عن المطر والعطاء ومقارنتها بـ (بسواع) الالهة الاهلين و (عشتر) الالهة سكان حضارة العراق القديمة

- البناء الفني في شعر ابي،ذويب كان مرتبط بعصرية اللغة وصورة الاداء الشعري من خلال الجدل مع تقاليد تراثه

في لوحات الافتتاح من خلال الطلل فتاره تراه مهتم بتصوير مكونات طلله الموضوعية لخلق اجواء نفسيه تتناسب مع موضوع القصيدة. يعبر من خلالها عن حزنه والمهمه

من خلال كشفه عن صراح نفسي مولم في لوجه المرأة العاذلة

ومره اخره نجد لوجه الافتتاح بوصف الليل الذي توحى صورته بالحزن والقلق وبعث الهموم

ولوحة الحكمه و ما تعبير عنه من موقف فكري و اخلاقي

فهرس المصادر والمراجع .

أولاً : الكتب

- الاغانى ، ابوالفرج الاصفهانى طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، هـ ١٩٥٤ م
- اسد الغابة، ابن الاثير، دار ابن حزم بيروت
- خزانة الادب، عبد القادر البغدادي، مكتبة الخانجي، القاهرة هـ ١٤٠٦ م ١٩٨٦
- طبقات حول الشعراء، ابن سلام الجمحي ، تحقيق محمود شاكر ، دار المدنى جدة
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، مطبعة الفتوح الادبية، هـ ١٣٣٢ م ١٩١٤ م
- شرح اشعار الهذلين، ابي سعيد السكري، تحقيق عبدالستار احمد فراج، دار النوادر، ١٤٣٤ هـ ٢٠١٣ م
- الكامل في التاريخ، ابن الاثير، صاحب اصوله عبدالوهاب النجار، ادارة الطابعة المنيرية هـ ١٣٥٧ م ١٩٣٨
- فتوح البلدان، احمد البلاذري، دار ومكتبة الهلال م ١٩٨٨
- الروض الانف، شرح ابوالقاسم السهيلي ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت، م ١٩٦٧
- مقدمة القصيدة العربية الجاهلية، د حسين عطوان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠
- الخيال في مذهب محي الدين بن عربي، د ، محمود قاسم، مكتبة الادب المغربي ، ١٩٦٩ م
- طيف الخيال. ، الشريف المرتضى ، تحقيق حسن كامل الصيرافي ، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، هـ ١٣٨١ م ١٩٦٢
- المرأة في الشعر الجاهلي، د ، علي الهاشمي، مطبعة المعارف هـ ١٣٧٩ م ١٩٦٠
- الغزل في الشعر الجاهلي، د ، احمد الحوفي ، دار الفكر العربي
- معجم الوسط، اصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة، الناشر مكتبة الشروق الدولية ، هـ ١٣٨٠ م ١٩٦٠
- النظام والكلام. ، او دنيس ، دار الاداب، م ١٩٩٣
- الواقع ولاسطورة. د نصرت عبد الرحمن، دار الفكر العربي بمساعدة الحامعة الاردنية م ١٩٨٥

- العنف والقدس والجنس د ترکي الريبيو، المركز الثقافي العربي، بيروت
- ملحمة كلکامش د طه باقر، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد ، ط٤ ، ١٩٨٠
- لسان العرب، ابن منظور، مطبعة بولاق ١٢٩٩ هـ
- وحدة القصيدة في الشعر العربي ،محمد حياة جاسم، الجمهورية العراقية، وزارة الاعلام ، دائرة الثقافة، ١٩٧٢ م
- العمدة، ابن رشيق ، دار ومكتبة الهلال. ٢٠٠٢ م
- الشعر الجاهلي منهـ في دراسته وتقويمه د محمد النويهي، الدار القومية للطباعة واـ لنـشر
- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ناصر الدين الاسد، دار الجيل، ١٩٨٨ م
- التركيب اللغوي للادب، د لطفي عبدالبديع . دار المريخ، الرياض
- لغربة في الشعر الجاهلي، د عبد الرزاق الخشروم، منشورات اتحاد الكتاب العربي. ، دمشق ١٩٧٢ م
- الموازنة، الامدي، تحقيق السيد احمد الصقر، دار المعارف ١٩٩٤ م
- ابوذوب الهذلي حياته وشعره، نورة الشملان، الناشر عمادة شئون المكتبات، جـ امـعةـ الـريـاضـ، ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠ م
- البناء الفني في شعر الـهـذـلـيـنـ ، ايـادـ عـبدـالـمـجـيدـ اـبـراـهـيمـ ، دارـ الشـئـوـنـ التـقـافـيـةـ العـامـةـ، ٢٠٠٠ م
- تصوير الغزال بين الجاهلية والاسلام، د شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق ، ١٣٧، ١٩٥٩، ٩ م
- مقدمة القصيدة في العصر الاموي، د حسين عطوان ،دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦
- الرحلة في القصيدة الجاهلية، وهب ارميه، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع ١٩٨٢ م.
- لمحات من الشعر القصصي في الادب العربي، نوري حمودي القيسى
- شعر اوـسـ وـرـوـاتـهـ الـجـاهـلـيـنـ ، دـ مـحـمـودـ عـبـدـالـلهـ الـجـادـرـ ، دـارـ الرـسـالـهـ للـطـبـاعـةـ ١٩٧٩ م
- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د يحيى الجبورى موسسة الرساله. ،بيروت ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٦ م
- الكامل. ،لمبرد، تحقيق، د محمد الدلي، موسسة الرساله بيروت، ١٩٨٦ م

ثانياً : الرسائل والأطاريح

- المرأة في شعر الهذللين، حسين عبيد شراد ، رسالة ماجستير كلية الاداب جامعة القادسية، ٢٠٠٠
- مظاهر التحضر عند شعراء الغزل في صدر الاسلام والعصر الاموي، عبدالله حبيب ، رسالة ماجستير جامعة القادسية، ٦٧
- العاذلة في الشعر الجاهلي ، د.أبراهيم موسى السنجلاوي (بحث) ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية . العدد (٢٨) ، مجلد (٤) ، ١٩٨٧ م

ثالثاً: المجلات والصحف

- مجلة افق الحضارة الاسلامية ق العدد (الخامس والعشرين) ربيع وصيف ١٩٨٩
- مجلة اقلام ، العدد ٢ اذار ، نيسان . ، لسنة ٢٠٠٠ ، ٧٤٠